الثدييات آكلة الأعشاب

تضم هذه المجموعة من الثدييات عدداً من البهائم والدواب التي لا تأكل إلا الأعشاب، والتي تعتمد على الأعشاب وغيرها في غذائها، وتندرج هذه الثدييات تحت عدد من العوائل هي البقرية والخيلية وعائلة الوبر والأرانب والسعادين والشياهين والفئران واليرابيع (الجرابيع) والقنافذ والثعلب الطائر والخفافيش. كما تضم كل عائلة عدداً من الأجناس. وهنا عرض لهذه الحيوانات وأنواعها وفقاً لما تضمه العوائل المختلفة منها مع الإشارة إلى خصائصها وأماكن وجودها بالجزيرة العربية.

العائلة البقرية

تتميز أفراد هذه العائلة بأن لها قرنين مجوفين عليهما حلقات تبدأ من قاعدة القرن، وهذه القرون غالباً مقوسة أو ملتوية، وقلما تكون مستقيمة، وهي غير متفرعة إلا في نوع واحد منها، والفك العلوي يخلو من القواطع والأنياب. تستوطن أنواع هذه العائلة مناطق العالم، عدا أستراليا وأمريكا الجنوبية. ويمثلها في الجزيرة العربية المها العربي والوعل وخمسة أنواع من الظباء والكبش البري والماعز البري. ويعيش النوعان الأخيران في سلطنة عمان، ولم يسجل وجود أي منهما في المملكة حتى الآن.

الوضيحي. هو المها العربي، ومفرد المها مهاة، ويقال للمها أيضاً بقر الوحش، وهو الاسم الذي عُرِفَ به هذا النوع من الحيوان في كتب التراث، كما يسمى أبو سولع في سلطنة عمان. ويُعد من أكبر المجترات البرية التي تعيش في الجزيرة العربية.

وهناك عدة أنواع من المها، فبالإضافة إلى المها العربي الذي ينتشر في الجزيرة العربية فقط، هناك أربعة أنواع أخرى

تعيش في مناطـق مختلفة من أفريقيا. فالمها معقوف القرن ينتشر في وسطها، وفي الجنوب الغربي من القارة مها جنوب أفريقيا، أمـا مها البيسا والمها ذو الأذن الجانبـية ففي شرق أفريـقيا من جنوب السودان إلى القرن الأفريقي.

ويعدّ المـها العربي أكـثر أنواع المها الموجودة في العالم رشاقة حركة، وصغر جرم. أظلافـه دائرية عريضـة وهذا مما يساعده على المشي على الرمال، وقرونه مستقيمة يتخذها سلاحاً قوياً ضد أعدائه. وهو يشبه الخيل في شكل جسمه وسرعة جريه ورشاقة حركته. ولا يختلف الذكر عن الأنـثى فـي شكل الجـسم وطـول القرون. وقـد تظهر الاخـتلافات عنـد اكتمال بلوغ الحيـوان، إذ يكون الذكور أكبر من الإناث رقبة وقروناً.

يميل لون الحيوان البالغ إلى البياض، ولذا فإنه يُرى من مسافات بعيدة، ومن هذه الـصفة أخذ لـفظ (الوضيـحي)، وتظهر على بعض أجزاء الجسم علامات بنية قاتمة. فالأرجل بنية داكنة، مع وجود منطقة بيضاء فوق الأظلاف سود اللون. وعلى كل جانب من جانبي الوجه بقعة بنية مسودة يسـميها أهل البادية حرقة، تمتد لتغطي العين، وكذلك على الأنف، وبذا يظهر الوجه ملوناً بالأبيض والبني

المها العربي

المسود، وقد يظهر في بعض أفراده خط صغير داكن على جانبي الجسم. والذيل متوسط الطـول ينتهي بخصلة سوداء، وللمها حدبة صغيرة على الكتـف تشبه حدبة الأبقار الأليفة. ويصل ارتفاع المها البالغ عند الكتف إلى ٩٥سـم، ويصل وزنه إلى ١٢٥ كجم.

يعيـش المها في قـطعان يخـتلف عددها حسب توافر المـرعى. وتتكون عادة من ذكر وأنثى وبـعض الصغار، أو من ذكـر سائـد وعدد من الإنـاث والذكور والصغار أو المواليد، ويسمى القـطيع مـن المها الـصور والصـوار،

ويسمى صغيرها الغضيض والغض؛ قال أبو حية النميري:

خبأن بها الغنَّ الغضاض فأصبحت
لهن مرادا والسخال مخابئا

وقال كعب بن زهير:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وقد يظل القطيع ثابتاً لا يتغير أفراده لفترة طويلة، وقد تنفرد بعض الأفراد عنه لفترة قصيرة ثم تعود إليه ثانية. ويقود الذكر السائد القطيع عادة باستعراض قوته وفرض سلوكه العدواني على بقية الأفراد خاصة الذكور الأخرى المرافقة للقطيع. وهو ينطح ويضرب بقرونه الحادة حتى يستسلم كل أفراد القطيع لسيطرته. والمها كثير الترحال لا يستقر في مكان معين. يعيش في البيئات الرملية خلال الشتاء، وينتقل إلى بيئات الهضاب الحصبائية خلال الصيف، حيث توفر له الأشجار الظل المناسب لاتقاء حرارة الشمس، والمرعى الجيد.

يتغذى المها بأنواع متعددة من النباتات الفصلية خلال الربيع مثل النفل والحربث والقفعاء، وفي الصيف والخريف يتغذى بالنصي والسحم والصمعاء والثمام، وكذلك الأشجار كالسمر والعوسج والطلح من النباتات المفضلة له، غير أن الأثموم هو أكثر ما يعيش عليه، وتساعد نباتات الطرثوث والذانون على توفير قدر جيد من الماء له، خاصة الأجزاء السفلية منها. كما يتغذى بالنباتات العصارية وأوراق أشجار السمر العربي في فصل الصيف لاحتوائها على كمية جيدة من الماء، إضافة إلى قيمتها الغذائية العالية. هذا بالإضافة إلى الشبرق والخويطة والثمام.

وهذا التنوع الكبير في النباتات التي يتغذى بها المها، وعدم الاقتصار على عدد قليل منها، يمكنه من الحصول على احتياجاته الغذائية في أي وقت من العام، خصوصاً أن له قدرة كبيرة على العيش بصورة طبيعية على كمية قليلة من الغذاء. وهو أمر في غاية الأهمية للحيوانات التي تعيش في بيئات صحراوية شحيحة الإنتاج. وقد وجد أن المها يستطيع أن يعيش بالحصول على ما يعادل ١٪ فقط من وزنه من الغذاء، والمواشي تحتاج عادة إلى أكثر من ٢,٥٪ من وزنها من الغذاء.

ولا يحتاج المها إلى شرب الماء كثيراً فهو يعتمد على النباتات التي يتغذى بها في الحصول على احتياجاته منه، خاصة النباتات العصارية، ولكنه يشرب قليلاً من الماء عندما يتوافر له، ولذلك يعده العرب من الجوازىء التي تجترئ بالنبات

الرطب عن الماء. ومما يساعده في تقليل كمية الماء التي يحتاج إليها، تحديد فترة نشاطه أثناء النهار وبحثه عن الغذاء خلال الليل أو في الصباح الباكر، وقضاؤه فترة اشتداد الحرارة في سكون تام في الظل. وقد وجد أن النشاط الليلي يوفر قدراً كبيراً من الماء لمها البيسا الذي ينتشر في جنوب السودان ومنطقة القرن الأفريقي، حيث يتغذى بنوع من النبات يجمع الندى من الجو عند انخفاض درجة الحرارة وارتفاع الرطوبة النسبية خلال الليل إلى ما يعادل ٧٠٪ من وزنه الجاف، وتنخفض هذه النسبة إلى أقل من ١٠٪ من وزنه الجاف عند ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض الرطوبة النسبية خلال النهار.

ويعدّ تكيف المها للمعيشة على قدر ضئيل من الغذاء وتحمل العطش لفترات طويلة من الوقت، من أهم العوامل التي ساعدته على البقاء في البيئات الصحراوية الجافة مثل صحراء الربع الخالي وصحراء الدهناء. هذا إلى جانب تحمله للارتفاع الكبير الذي يحدث في درجة حرارة جسمه خلال فترة اشتداد حرارة الجو، حيث ترتفع درجة حرارة جسمه تحت هذه الظروف عن المعدل الطبيعي (٣٨ْم) إلى درجات حرارة قد تصل إلى ٤١ْم فلا يفقد كمية كبيرة من الماء بالتعرق. ولذا فالمها لا يعرق عادة إلا بعد أن ترتفع درجة حرارة جسمه عن ٤١ْم. وكذلك يمكن أن تنخفض درجة حرارة جسمه إلى ٣٤ْم خلال الليل للتقليل من فقد الطاقة الذي يحدث إذا بقيت حرارة الجسم حول المعدل الطبيعي لها. ومن عوامل التكيف التي تساعد المها على حفظ سوائل جسمه، قدرته على تركيز البول والمواد الإخراجية الأخرى لإبقاء أكبر قدر من الماء في جسمه. وللتكيفات السلوكية أيضاً قدر كبير من الأهمية في حياة المها في البيئة الحارة، فالنشاط والبحث عن الغذاء، خلال الليل أو الفترات الباردة في أول النهار أو آخره والبقاء تحت الأشجار وسط النهار يقلل من التعرض المباشر لأشعة الشمس الحارقة.

يتزاوج المها طوال العام، إذ ليس هناك فترة محددة لتزاوجه. ويسبق التزاوج عادةً فترة من الغزل تبدأ بالعراك الخفيف والتدافع والتلاحم بالجسم والقرون بين الذكر والأنثى، وعندما تُظْهِر الأنثى علامات الخضوع، مثل خفض الرأس إلى الأسفل، يدور الذكر والأنثى أحدهما حول الآخر، مع احتكاك جسميهما وشم أعضاء التناسل والبول، وينتهي الغزل بامتطاء الذكر للأنثى لفترة

قصيرة جداً، تتكرر عدة مرات خلال اليوم الواحد.

فترة حمل المها ٨ أو ٩ أشهر. وتضع الأنثى صغيرها في مكان منعزل تحت الشجيرات لتوفير الظل والحماية له من المفترسات. وتستمر عملية الوضع عادة لعدة ساعات، وتنظف الأم وليدها تلعقه بلسانها وتأكل المشيمة. ويظل الصغير خلال ثلاثة الأسابيع الأولى بلا حركة في الظل تحت الشجيرات، ولا يخرج من مكانه إلا عند قدوم الأم لإرضاعه. وتزوره الأم زيارات قد تصل إلى ١٤ مرة خلال اليوم والليلة، ويفطم بعد ثلاثة أسابيع. وقد تستمر الرضاعة لمدة أطول من ذلك، ومن ثم يبدأ بأكل الأعشاب والنباتات الغضة. ويستمر الغض أو الغضيض، الذي يكون لونه رملياً بلون البيئة المحيطة، مع أمه إلى أن يتم سنته الأولى ثم يتركها، وقد يضطر الصغير إلى ترك أمه أبكر من ذلك إذا اقترنت بذكر آخر للتزاوج، وهو ما يمكن أن يحدث بعد أسبوع أو أسبوعين فقط من وضعها، وعندها يبعد الذكر الصغير بقرونه بلطف ليترك أمه. تصل الإناث مرحلة البلوغ بعد سنتين أو سنتين ونصف وقد تستمر خصوبتها لأكثر من عشر سنوات.

مها عربية وصغيرها

وقد حفلت كتب الأدب والشعر بوصف بقر الوحش وسلوكياته وتصرفاته تجاه المفترسات والصيادين، وعطفه على صغاره، واستماتته في حمايتها والدفاع عنها وقت الشدة. يقول لبيد في وصف معركة بين بقر الوحش والذئاب التي تحاول افتراس وليدها:

أفتلك أم وحشية مسبوعة
خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم
عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه
غبس كواسب لا يمن طعامها

صادفن منها غرة فأصبنها
إن المنايا لا تطيش سهامها

فهذه البقرة الوحشية البائسة التي عدت على ولدها السباع الكواسب على غرة منها فأكلته، ما زالت تبحث عنه أملاً في العثور عليه حياً في الشقائق بين عروق الرمال، ولكن هيهات، لقد اختطفته المنية التي لا تخطىء سهامها. ثم يستطرد في وصف حال الأم بعد فراق ولدها المفقود بوصف لا يجاريه وصف ولا يقدر عليه إلا أمثال لبيد وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد من الشعراء المطبوعين.

وقد شبه امرؤء القيس بقر الوحش بالعذارى في مشيتها وبياضها فيقول:

فَعَنَّ لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه
بجيد معم في العشيرة مخول

كما شبه زهير بن أبي سلمى محبوبته ببقر الوحش في جمال عيونها ورشاقة جسمها فيقول:

تنازعها المها شِبهاً ودرّ البُ
ـحور وشاكهتْ فيها الظباء
فأما ما فويق العقد منها
فمن أدماءَ مرتعها الخلاءُ
وأما المقلتان فمن مهاة
وللدر الملاحة والصفاء

كما قال علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد شبه العرب رواحلهم في قوتها وشدتها وتحملها لصعاب الرحلة وطول السير، ببقر الوحش في الصبر والقوة وتحمل مطاردة الصيادين أو المفترسات. وكذلك استخدموا أوصاف بقر الوحش الجمالية في تشبيه ممدوحيهم، مثل جمال العيون وبياض اللون والتفاف الكشح وغيرها من الأوصاف.

كما استخدم الشعراء وصف الحيوان الوحشي، بصفة عامة وبقر الوحش بصفة خاصة، عند الكلام عن ديار الأحبة التي خلت بعد أن هجروها إلى غيرها من الديار لتصبح مرتعاً للحيوان الوحشي. يقول زهير بن أبي سلمى:

بها العين والآرام يمشين خلفةً
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقد استخدم الشعراء أيضاً الصفات الحميدة في بقر الوحش التي هي محل تقديرهم، مثل الجرأة في الدفاع عن النفس والكبرياء والإقدام والشجاعة في التصدي للمفترسات، في نعت ممدوحيهم ومن يريدون أن يرفعوا شأنه ويعلوا ذكره بين الناس.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري (١٢٨٠هـ) أي بعد منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (١٨٦٣م)، لوحظ تناقص أعداد المها العربي في مواطن انتشاره في المناطق الشمالية الغربية، وصحراء النفود الكبير، وصحراء الدهناء والربع الخالي. واستمر التناقص في أعداد المها بشكل سريع حتى لم يبق منه إلا أفراد معدودة، في أجزاء من الربع الخالي، وفي جنوبي غرب سلطنة عُمان، بحلول منتصف القرن العشرين. وقد تأكد ذلك من خلال البحث عن المها خلال الربع الأخير من عام ١٩٧٢م في جنوب سلطنة عُمان والربع الخالي حيث تبين أن آخر سبعة أفراد من المها شوهدت وصيدت في تلك المناطق، ولم يعثر على أي أثر لهذا الحيوان في مواطنه الطبيعية بعد ذلك التاريخ.

وقد تزامن انقراض المها مع تطور الأسلحة النارية وانتشارها انتشاراً واسعاً في أوروبا، ومن ثم تصديرها إلى مختلف مناطق العالم ومنها الجزيرة العربية، إلى جانب توافر وسائل النقل القوية خاصة السيارات ذات الدفع الرباعي.

وقد أخذ عدد من الهيئات والحكومات في علاج ظاهرة التناقص السريع في أعداد المها العربي والأنواع الفطرية الأخرى في الجزيرة العربية، فقاموا بجمع ما أمكنهم جمعه من أفراد المها العربي واحتفظوا بها في حدائق الحيوان في بعض دول المنطقة مثل المملكة وسلطنة عُمان وقطر والبحرين والإمارات العربية والكويت. كذلك جمع بعض المهتمين بالحيوانات الفطرية عدداً من هذه الحيوانات واحتفظوا بها في حدائق ومزارع خاصة. إلا أنه لم يصاحب تجميع هذه الأعداد من الحيوانات تخطيط واضح لإكثارها أو تكوين الملاذات الآمنة لها، ومن ثم إعادتها إلى مواطنها الطبيعية السابقة.

ولم تلبث أن اهتمت بعض المنظمات العالمية بالحالة المتدنية التي وصل إليها وضع المها العربي في مواطنه الطبيعية، فأخذت زمام المبادرة للمحافظة عليه. وشكلت لجنة من الاتحاد الدولي لصون الطبيعة وجمعية المحافظة على الأحياء الفطرية، وغيرها من الهيئات، في عام ١٩٦١م بهدف الحصول على قطيع من المها العربي من مواطنه الطبيعية في الجزيرة العربية وإكثاره تحت الأسر، ومن ثم إعادته إلى مواطنه الطبيعية بعد ضمان حمايته مستقبلاً من الصيد الجائر الذي أدى إلى انقراضه. وفي عام ١٩٦٢م

أمسك فريق أرسلته اللجنة بذكرين وأنثى في منطقة من الربع الخالي بين سلطنة عُمان واليمن، وأرسلت هذه الحيوانات إلى كينيا ثم إلى ولاية أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية. وتبرعت المملكة العربية السعودية بذكرين وأنثيين من أصل ثلاث عشرة مهاة كانت في حديقة حيوان الرياض، وتبرعت كل من الكويت وحديقة حيوان لندن بأنثى كانت جاءتها من سلطنة عُمان. وتكون من مجموع هذه الأفراد ما سُمِّي بالقطيع العالمي الذي استقر في حديقة حيوان مدينة فيونكس بولاية أريزونا بأمريكا.

بدأ هذا القطيع في التكاثر بشكل جيد حتى وصل عدد أفراده في عام ١٩٧٢م إلى ثلاثين فرداً. ثم رأى المختصون أن يوزع هذا القطيع العالمي إلى مجموعات في حدائق حيوان متفرقة، لضمان بقائه وعدم تعرضه لخطر الموت الجماعي نتيجة التعرض للإصابة بأي مرض وبائي. لذا أرسلت مجموعة منه إلى حديقة حيوان لوس أنجلوس، وأخرى إلى حديقة حيوان سان دياجو في ولاية كاليفورنيا بأمريكا الشمالية.

وبدأ المها العربي رحلة العودة إلى مواطنه الأصلية في الجزيرة العربية عام ١٩٧٨م حيث أرسل ثمانية أفراد من القطيع العالمي إلى محمية الشومري بالأردن، سرعان ما تأقلمت فيها وتكاثرت بصورة جيدة. ثم أعقب ذلك إرسال حوالي ١٧ مهاة إلى جنوب غرب الجزيرة العربية حيث أطلقت في محمية جدة الحراسيس في سلطنة عُمان عام ١٩٨٠م. ولم تلبث أن تبعتها مجموعات صغيرة أخرى أطلقت في المحمية نفسها.

وعلى الرغم من انقراض المها العربي من مواطنه الطبيعية في المملكة العربية السعودية، إلا أن أعداداً لا بأس بها كانت موجودة ضمن بعض المجموعات الخاصة، مثل مزرعة الملك خالد بن عبدالعزيز -طيب الله ثراه- في الثمامة شمال مدينة الرياض وغيرها، وكانت هذه المجموعات محل اهتمام خاص من حيث الرعاية الصحية والإكثار. وقد أضيفت إليها أعداد قليلة من القطيع العالمي من قطر والبحرين خلال فترات مختلفة بغرض تجديد دمائها وزيادة أعدادها.

وجاء إنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها عام ١٤٠٦هـ ليمثل نقطة تحول مهمة في المحافظة على الحياة الفطرية عامة، والمها العربي خاصة. فأنشئ المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، وأوكلت إليه مهمة

العنايـة بالقطيع الذي كان مـوجوداً في مزرعة الملك خالد بالثمامة، والعمل على تحسين نوعيته وإكثاره لإعادة توطينه في مواطنه الطبيعية التي كانت تزخر به في عهود سابقة. وقد تكاثر المها العربي في المركز الـوطني لأبحاث الحيـاة الفطرية بالطائف تكاثراً جيداً، وزادت أعداده بعد التـغلب علـى المشاكل الـصحية الـتي واجهت القطيع بعـد انتقاله من الثمامة إلى الطائف. وفي بداية شهر شعبان من عام ١٤١٠هـ أطلقت أول مجموعة من المها مكونة من ١٧ فرداً في محمية محازة الصيد المسيجة الـتي تبعد حوالي ١٤٠ كم شرق مدينة الطائف. ولم يلبث أن تكيف المها سريعاً مع الظروف الطبيعية في محمية محازة الصيد خلال السنوات الأولى لإطلاقه. وازداد عدد أفراد القطيع حتى وصل إلى أكثر من ٢٥٠ فرداً في منتصف عام ١٤١٦هـ. ونتيجة لزيادة أعداد المها فـي المركز الوطني لأبـحاث الحياة الـفطرية بالطـائف، وكذلك في محمية محازة الصيد، اختيرت مجموعة جديـدة مكونـة من ٢٣ مـهاة تتـراوح أعمارها بين ٩ إلى ١٦ شهراً وأُطـلقت في محمية عروق بني معارض في شوال من عام ١٤١٥هـ. لترتع حرة طليقة على مشارف الربع الخالي، آخر موطن وجدت فيه قبل انقراضها. ولن يمر وقت طويل بإذن الله قبل أن يعود المها العربي لينتشر في جميع المواطن التي كـان ينتشر فيها قبلاً في الجزيرة العربية.

الوعل. الذكر منه هو التيس الجبلي، والأنثى هي الشاة أو العنز وتسمى أيضاً أروية وأرَوى وجمعها أراوي. ويـسمى الوعل المسن الـبِدَن، وله أسماء عديدة غير ذلك، ويـسمى ولد الأروية العَـفَر وإذا أتم سنة فهو الغادر. ويـسمى أهل البادية الذكر البدن والعَود إذا كانت قرونه أطول من شبريـن، أما إذا كانت أقصر من ذلك فيسمى أبو صدة. وأنثى الوعل لها عـدة أسماء لدى أهل البـادية فهي أروية وجلمـة وسيافة وشاة ولا تسمى لديهم عـنزا، وإذا اشتد الذكر وبلـغت قرونه طولها النـهائي، وهو عادة سبعة أشبار، يسـمى ناخس لأن قرونه تترك علامات فوق مؤخرة ظهره لاحـتكاكها المستمر بها.

وينتشـر الوعل على امتداد جبـال أوروبا وآسيـا وسلاسل جبال جنـوب سيبيريا وغرب الصين وجبال الهملايا، وفي جنوب أوروبا وعلى جانبي البحر الأحمر. ويـعيش الوعل في الجـزيرة العربية في المناطق الجبـلية على امتداد ساحل البحر الأحمر، وجبال اليمن،

الوعل (الذكر يسمى التيس الجبلي)

وعُمان، ووسط المملكة. وهناك تنافس بين الوعول والماعز والضأن في البيئات التي تقطنها، خاصة تلك الفقيرة في محتواها النباتي مما أدّى إلى تناقص أعداد الوعول. ساعد على ذلك امتلاك أصحاب الأغنام كثيراً من المناطق الرعوية الجيدة، واستخدامهم الأسلحة النارية في القضاء على كثير من الوعول.

وتعيش الوعول في المناطق الجبلية العالية في قمم الجبال، وفي الشعاب الصغيرة، والمنحدرات في أعالي الجبال، وفي المناطق الوعرة، حيث توفر لها هذه البيئات الحماية والمنعة. والوعل من أمهر أنواع الماعز البري في التسلق والمشي على أصعب الحواف الصخرية العمودية في وثبات متتابعة، يساعده في ذلك أطرافه العضلية القصيرة القوية، وأظلافه الغليظة المرنة المتكيفة للمشي في البيئات الجبلية الصعبة.

والوعل حيوان جبلي يشبه الماعز، جسمه ممتلئ مغطى بشعر خشن لونه يميل إلى البني. تمتاز مقدمة أطرافه بعلامات سود وبقع بيض على الركبة تعرف بالحِجَل. وللذكور قرون كبيرة معقوفة إلى الخلف ذات بروزات قرنية عريضة واضحة، أما الإناث فقرونها صغيرة، والبروزات القرنية فيها أقل وضوحاً مما هي عليه في الذكور.

تختلف ذكور الوعول عن الإناث في حجم الجسم، ويبلغ حجم الذكر البالغ ضعف حجم الأنثى تقريباً، وللذكر لحية مميِّزة هي خصلة شعرية تنمو تحت الذقن تظهر عند بلوغه سن الثانية من عمره، كما أن للذكور عُرْفاً من الشعر الأسود على منتصف الظهر، ويتلاءم لون الشعر في الوعول مع البيئة التي تعيش فيها، ففي البيئات الصخرية الرسوبية في جبال طويق يكون لون

الجسم أفتح منه في تلك التي تعيش في جبال الحجاز غرب الجزيرة العربية، أما الوعول التي تقطن الحرات فيميل لونها إلى البنـي الرمادي، وفي كلا الجنسين نهاية الذيل سوداء.

ويمكن تـقدير أعمار الذكـور بطول القرون واللحية، فالذكر البالغ من العمر ثلاث سـنوات يبلـغ طول قرونـه نحو ٣٠سم، وتكون منحنية إلى الخلف قليلاً وتظهر على مقدمتها ٣ أو ٤ عقد قرنية واضحـة، ويصل طـول لحيتـه حوالي ٢سم. أما الذكور التي عمرها من أربع إلى خمس سنوات فيتراوح طول القرن فيها من ٣٠ إلى ٦٠سم، ويكون القرن واضح الانحناء إلى الخلف، ويصل طول اللحيـة من ٣ إلى ٥سم، وفي الذكـور من سـن ٦ إلى ٨ سنـوات يبلغ طـول القـرون من ٦٠ إلى ٨٠سـم، وتكون محدبـة بصورة واضحة، كـثيرة العقـد وطول اللحية من ٥ إلى ٧سم. أما الذكور من ٩ سنوات فأكثر فتكون قرونها محدبة كثيراً ونهايتها قد أكملت دورتها واتجهت إلى الأمام قليلاً، وقد تلامس ظهر الحيوان في الذكـور المسنة، ويصل طـولها إلى ١٢٠سم، وطـول اللـحية مـن ٧ إلى ١٠سم. وقد ثبت أنه لا علاقة بين عدد العقد القرنية على القرون وعمر الحيوان.

الوعل

وقد أدى الصيد الجـائر من ناحية، ومزاحمة قطعان الماشية لها على المرعى في معظم البيـئات التي تعيش فيها من ناحية أخرى، إلى انحصار انتشارها في مناطق أقل جودة، مما نتج عنه حدوث تغيـرات جوهرية فـي أعداد جماعـات الوعـول وصفاتـها وعلاقتـها بعـضها ببعض، كما تأثرت قدرتها على التناسل، فتناقصت أعدادها كثيراً. وقد أدى هذا الوضع إلى زيادة الجهد الذي تبذله هذه الحيوانات في الحصول على غذائها تحت

ظروف المطاردة المستمرة وقلة المراعي الجيدة، مما جعل من الصعوبة بمكان أن تتحرك للبحث عن الغذاء مع المحافظة على مخزونها من الطاقة وتقليل تعرضها للمخاطر، بالإضافة إلى حرص الحيوان على عدم التعرض لأشعة الشمس الحارقة خلال منتصف النهار حتى لا ترفع من درجة حرارة جسمه، وتعرض مخزونه من الماء للخطر. ولذلك يحرص الحيوان على أن يكون نشاطه محصوراً في أوقات برودة الجو في أول النهار وآخره. وتبقى الحيوانات في الظل أو في الكهوف في فترات الظهيرة.

وتتغذى الوعول بالأعشاب والكلأ، إلا أن غذاءها أكثره من أوراق الشجيرات والنباتات العشبية الصغيرة، وبعض أجزاء الأشجار مثل الأوراق والبراعم والأزهار وربما اللحاء. وعندما ترعى الوعول يكون لها فرد «رقيب» لحمايتها من الخطر ولا يرعى بل يتفرغ لمراقبة ما حوله إلى أن تنتهي نوبته ويحل محله فرد آخر من القطيع فيأخذ نصيبه من الرعي.

تعيش الوعول في مجموعات تتكون غالباً من ذكر سائد ومجموعة من الإناث التي تتبعها صغارها،

منافسة بين ذكرين من الوعول

وتنفصل الذكور الأصغر سناً عادةً في مجموعات مستقلة. ومن عادة الوعول أن تعيش مجتمعة في فصل الخريف ابتداءً من شهر أكتوبر خلال الدورة النزوية للإناث وهياج الذكور مع دخول الوسم. وترتبط الذكور السائدة بالإناث ويحدث تنافس شديد بين الذكور على الإناث، خلال تلك الفترة، وتكثر حركة الذكور ونشاطها بحثاً عن الإناث حيث يقف الذكر على أعلى مرتفع من الجبل عند بحثه عن الإناث للتزاوج ويجذبهن إليه بإطلاق رائحة معينة مع إصدار صوت خاص يدعوهن إليه. وقد تتدهور الحالة الصحية للذكور بسبب كثرة نشاطها وقلة تغذيتها خلال تلك الفترة.

يستمر تزاوج الوعول حتى منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، أي نهاية فصل الخريف إذ تستمر فترة الحمل حوالي خمسة أشهر وتلد في بداية فصل الربيع وتضع الإناث عادة صغيرين، وقد يلد بعضها صغيراً واحداً، وتنعزل الإناث في أعالي الوديان في أماكن بعيدة عن بقية القطيع قبيل الولادة، وتظل في مكانها لعدة أسابيع حيث تلد صغارها وتعتني بها وتزورها عدة مرات خلال الليل للرضاعة. ويعمل هذا الانعزال على توثيق صلة الأم بصغيرها، كما يقلل من خطر الافتراس وموت الصغار، وتبقى الأم مع وليدها عدة أسابيع حتى يستطيع المشي، تعود بعدها لمشاركة القطيع حياته.

وتفضل الوعول خلال الخريف العيش في الجبال ذوات الأحجار الصغيرة البازلتية لأنها أوفر عشباً مع سقوط أمطار الوسم. أما في الصيف فتنفصل الذكور عن الإناث وتتجه للعيش في سفوح الجبال وفي الهضاب الحمر، حيث تكون أوفر أشجاراً وظلاً وتجد ما يكفيها من الماء في القلات والأوشال. كما أنها في الشتاء تكون في أعالي الجبال، وفي الصيف تنزل إلى أطراف الهضاب والأودية المنحدرة منها، لوفرة الأشجار، خاصة السمر والطلح.

تعمر الوعول أكثر من ١٥ سنة، وأكثر ما تموت عادةً خلال ستة الشهور الأولى من العمر. وتشكل الضباع وعناق الأرض والثعالب والعقبان والبزاة أهم الأعداء الطبيعية لصغار الوعول. أما النمور والذئاب والضباع فتفترس الوعول البالغة. والإنسان بحق هو المسؤول الأول عن قتل أعداد كبيرة منها بصيده الجائر وتدميره بيئاتها الطبيعية، وحرمانها من الحصول على احتياجاتها الغذائية.

أنثى الوعل وصغارها

ويضرب بالوعل المثل لمن لا يُرى خيره وإحسانه إلا نادراً فيقال «فلان كبارح الأروى» وذلك لأن منازل الأروى شعف الجبال العالية فلا ترى إلا نادراً.

وقد ورد ذكر الوعل كثيراً في الشعر، وأكثر ما ورد في قصائد المدح حيث يشبه الممدوح بالوعل في القوة والمنعة لأنه لا يبرح شعف الجبال وقممها الصخرية الوعرة التي لا يكاد يصلها الإنسان، وقد وصل الحال ببعض الشعراء إلى الرمز به لطول البقاء، وأن الموت قد لا يدركه. يقول ديك الجن في هذا المعنى:

نغفل والأيام لا تغفل
ولا لنا من زمن موئل
والدهر لا يسلم من صرفه
أعصم في القنة مستوعل
يتخذ الشعرى شعاراً له
كأنما الأفق له منزل
كأنه بين شناظيرها
بارقة تكمن أو تمثل

والقُنَّة جمع قُنَن وهي قمة الجبل، وشناظير الجبل هي حروفه وأطرافه ورؤوسه المدببة.

وقد وردت بعض صفات الوعول في شعر الصعاليك، الذين ألفوا حياة التشرد والبعد عن الناس ومجتمعاتهم، فوجدوا في الوعول الشاردة أليفاً لهم يأنسون به؛ يقول الشنفرى:

ترود الأراوي الصمُّ حولي كأنها
عذارى عليهن الملاء المذيل

وكانت البدن تشاهد في قطعان كبيرة في معظم البيئات الجبلية. ويروي بعض كبار السن أن الوعول كانت تختلط مع أغنامهم في مراحها حول منازلهم فضلاً عن الرعي معها في المراعي القريبة، حتى وصل الأمر في كثير من الأحوال إلى التزاوج بين إناث الماعز وذكور الوعل، وقد اضطر صاحب قطيع من الماعز إلى أن يصطاد صغار ماعزه المهجنة من ذكور الوعل عندما كبرت وعجز عن إمساكها، وقد أخذت عن الوعل سرعته وارتقاءه للجبال والمسالك الوعرة.

وكان الصيد عند أهل البادية من أساسيات حياتهم، يتربون عليه منذ نعومة أظفارهم، فالشاب يحمل البندقية وهو حدث السن لا يكاد يستطيع حملها على كتفه، لكنه يحملها حتى ينتقل من سن الطفولة إلى مرحلة الرجولة، ولا يعني ذلك في الحقيقة قدرته على الصيد وضرورة أن يجلب صيداً سميناً لأهل الحي، ولكنه يتعلق بقدرته على البقاء في هذه البيئة غير الآمنة المحفوفة بالمخاطر. ولذلك كان من المسلمات أن لا يسير الإنسان إلا ومعه السلاح أو البندقية أياً كان نوعها. فإن لم تتوافر له، فسيف يدافع به عن نفسه وإلا فعصاً قوية يرد بها سبعاً مفترساً أو معتدياً أثيماً من بني جنسه.

وخلال تلك الفترة كان يحكم الصيد مقدار حاجة الصياد وحاجة جيرانه في الحي. فعلى الرغم من توافر أعداد كبيرة من قطعان الوعول، التي كثيراً ما يصادفها الصياد أثناء القنص أو أثناء تجواله وراء أغنامه، لكنه لا يقتل منها إلا ما يستطيع أن يعود به إلى أهله، ويعلم أنه سوف يأكله ولا يبقي منه شيئاً، أي بقدر الحاجة. وكان سلوك المحافظة على الموارد الطبيعية نظاماً راسخاً في حياة أهل البادية، فكل الموارد الطبيعية الموجودة في بيئتهم شحيحة، ولذلك كان عليهم أن يتصرفوا حيالها بحذر ولا يسرفوا في استخدامها. فكان الصياد منهم لا يقتل إلا ما يستطيع حمله إلى أهله وبخاصة الوعل الذي لا يُنال غالباً إلا في أماكن بعيدة وعرة، ويحتاج إلى حمله على ظهره لمسافات طويلة حتى يصل به إلى المنازل، إضافة إلى حمله المعتاد من متاع وبندقية.

كان للوعول منافع كثيرة؛ فبالإضافة إلى اتخاذ لحومها قوتاً، كانت قرونها تستخدم لعمل مقابض الخناجر أو الجنابي ويسمونها النِّصَاب وإن كانت قرون الظباء

أكثر استخداماً لهذا الغرض، وكذلك كانت تستخدم أداة في نطي الأَسْدية، ومفردها سدو، وهو البساط الذي يعمل من شعر الأغنام وصوفها وتعمل منه الخيام أيضاً. كما كانت جلودها تستخدم بعد دبغها لعمل القرب أو الفرش.

الظباء. يطلق هذا الاسم عند عامة الناس على أنواع الغزال المختلفة، وقد كثر في الزمن الحاضر استخدام لفظ الغزال للدلالة على الظبي، والصحيح أن الغزال هو صغير الظبي، ويجمع الظبي على ظباء وأظْبٍ وظُبي، والأنثى ظبية وجمعها ظبيات وظباء، وتكنى الظبية بأم الشادن، قال ذو الرمة:

ذكرتك إذ مرّت بنا أم شادن
أمام المطايا تشرئب وتسنح

وتكنى كذلك أم الطل وأم الخشف. يقول مجنون ليلى:

فما أم خشف بالعقيقين ترعوي
إلى رشأ طَفْل مفاصله خدر
بمخضلةٍ حاد الربيع زهاءها
رهائم وسميّ سحائبه غزر
تقلب عيني خاذل بين مرعو
وآثار آيات وقد راحت العفر
بأحسن من ليلى معيدة نظرة
إليَّ التفاتاً حين ولت بها السفر

ويسمى الظبي بأسماء متعددة منها الأعقف أي معقوف القرن، والأَغْيَد أي الطويل العنق، أما غادة فهي الفتية من الظباء، وبها يسمى اليوم كثير من البنات. وتسمى الظبية كذلك المُغزل والمُشدن وهي المطفل من الظباء. وقد وردت هذه الأسماء كثيراً في شعر العرب قديماً وحديثاً في قصائد الوصف والغزل وتذكر المحبوبة.

وقد صنف العرب الأوائل الظباء حسب ألوانها إلى ثلاثة أقسام؛ هي الآرام، أي الظباء البيض الخالصة، واحدها ريم ومساكنها الصحارى الرملية التي تخفيها عن أعدائها. قال البحتري في مدح إسماعيل بن بلبل:

قد أراه مغنى لآرام سرب
مائلات إلى التصابي خدوده
من غزال يصيدني أو غزال
يتأبى ممانعاً لا أصيده
أسرتني له الصبابة حتى
أسرت مقلتاه لُبي وجيده

والظباء العُفر، أي ذات البياض المشوب بحمرة، واحدها أعفر والأنثى عفراء وتسكن الأراضي الصلبة. وقد انقرض الظبي العفري من مواطنه الطبيعية منذ فترة طويلة ولم يبق منه إلا عدد قليل جداً في مجموعة خاصة،

هي تلك الموجودة في مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالثمامة ولا يتعدى عددها أربعة ظباء. والقسم الثالث من الظباء هو الأدم، أي التي يميل لونها إلى الأدمة أي البياض يخالطه غبرة، ويقال أدمي وتوصف الأنثى بأنها أدماء. وقد مر قول ذي الرمة في وصفها. والظباء الأدم تسكن في المناطق الجبلية والحرات، حيث تتشابه ألوانها مع تلك البيئات التي توفر لها الحماية من المفترسات.

والظباء جزء من بيئة سكان الجزيرة العربية، تعيش معهم وتشارك مواشيهم المراعي، ولذا عرفوها تمام المعرفة، وتغنَّوْا بجمال أجسامها ورشاقتها، وحَوَر أعينها، واستخدموا تلك الصفات الجميلة في شعرهم لوصف من يحبون أو يمدحون من ذوي الشرف والكرم، وتظهر معرفتهم بالظباء في تسميتهم إياها بأسماء مختلفة منذ ولادتها حتى تهرم وتموت، فأول ما يولد للظبية الطَلاَ حتى يبلغ أسبوعين، ويكون ناعم الجلد داكن اللون. يخلد عادة تحت الأشجار ولا يتحرك إلا إذا أحس بقرب أمه للرضاعة، وهو أمر يجنبه كثيراً من أخطار الافتراس. وإذا مشى الطَلاَ سمي «غزالا» وهو ما له ثلاثة إلى ثمانية أسابيع من العمر، وقد يلازم أمه بعض الوقت، ويبدأ في قضم النباتات بالإضافة إلى غذائه من لبن الأم، ولا يمكن التمييز في هذه السن بين الذكور والإناث. وإذا طلع قرنه سُمِّي شادناً، والشادن هو الذي يبلغ طول قرنه نصف طول الأذن، ويصل ارتفاع ظهره إلى نصف ارتفاع جسم أمه. وخلال هذه المرحلة يمكن التمييز بين الذكور والإناث بشكل القرون، فقرون الذكر غليظة القاعدة ذات رأس منحنٍ إلى الأمام وأما قرون الإناث فدقيقة مستقيمة. وإذا بلغ ستة أشهر فهو شاحر أو جدَّاية أو خشف وهو أقل من الحيوان البالغ، ثم يصير بعد ذلك جذعاً ثم ظبياً أو ظبية ثم ثَنِيًّا وهو الحيوان المكتمل النمو، ويبقى كذلك حتى يهرم ويموت. والخشفة هي الظبية التي لم تلد بعد.

ويضرب بالظباء كثير من الأمثال الشعبية مثل: «عيا على فقاح الظبا خميرها»، «ظبي الهويملي ما يعودها رقدة»، «ظبي عليان يرعى مقفي وراه». «ظبي يكذب بعينه ويصدق بخشمه»، «راس ظبي ما فيه عراش». «ظبي العزا ما يحمد إلا قوايمه». «آمن من ظبا الحرم»، ويضرب هذا المثل للآمن مثل ظباء الحرم التي لا تصاد ولا تفزع

لمجاورتها للحرم. ومن الأمثال التراثية «به لا بظبي أعفر» وهو يضرب للشماتة. أي لتنزل به المصيبة ولا تنزل بالظبي، قال الفرزدق عندما بلغه موت زياد بن أبيه:

أقول له لما أتاني نعيُّه
به لا بظبي بالصريمة أعفرا

ويقال «أنفر من ظبي»، لحذره ونفوره عند الإحساس بالخطر ولذا أمر النبي ﷺ الضحاك بن قيس أن يذهب إلى قومه ليأتيه بخبرهم وقال له: إذا أتيتهم فاربض في دارهم ظبياً. والمعنى أن يكون منهم بحيث يراهم ويجمع أخبارهم من دون أن يحسوا به، فإذا أحس منهم الخطر انفلت منهم. فيكون كالظبي الذي لا يربض إلا وهو متحفز للنجاة من أي خطر داهم.

وقد كانت لرشاقة أجسام الظباء وحسن ألوانها وصفاء وحَوَر أعينها أثر كبير في شحذ قرائح الشعراء في مختلف العصور، لنحت الصور الجميلة والتشبيهات الفاتنة المعبرة عمَّن يحبون. ومن الصور التي استخدمها الشعراء باطراد تشبيه طول عنق المحبوبة أو الموصوفة بعنق الظبي، وكذلك الحَوَر الذي يزيد العين جمالاً، قال البحتري في مدح المتوكل:

إن الظباء غداة سفح محجر
هيَّجن حر جَوًى وفرط تذكر
من كل ساجي الطرف أغيد أجيد
ومهفهف الكشحين أحوى أحور
أقبلن بين أوانس مال الصبا
بقلوبهن وبين حور نُفَّر
فبعثن وجداً للخلي وزدن في
بُرحاء وجد العاشق المستهتر

وقال مجنون ليلى في هذا المعنى:

إن الظباء التي في الدور تعجبني
تلك الظباء التي لا تأكل الشجرا
لهن أعناق غزلان وأعينها
وهن أحسن من أبدانها صورا

ويقول أحمد بن عبد ربه في هذا المعنى:

وكأنما ترنو بعين غزالة
فقدت بأعلى الربوتين غزالَها

ومن الصور المستعارة من أشكال الظباء وحسن أجسامها، الكشح الهضيم والخصر الدقيق واللون الناصع، يقول أبو تمام في هذا:

فتأبَّدَتْ من كل مخطفة الحشا
غيداء تُكسى يارقا ورعاثا
كالظبية الأدماء هافت فارتعت
زهر العرار الغض والجثجاثا
حتى إذا ضرب الخريف رواقه
سافت برير أراكة وكباثا

ويضرب لجمال النساء المثل الشعبي «أزين من قايد الريم» ويـقودها أرشقها وأكملها قواماً.

الريم: وهو ظبي الرمال، وهو ظبي فاتح اللون كثيـر البياض، جليل العنق قصيـره. وكانت الآرام منتشـرة بأعداد كبيرة في معظم أنحاء الجـزيرة العربية، وما يزال كثيرون من كبـار السن يروون مشاهدها، ويصفون قطعانها الكبيرة التي كان من المعتاد مشاهدتها في نواحي الربع الخالي والدهناء والنفود والمناطق الشمالية الغربية من الجزيرة العربية. كما ذكر ذلك أيضاً الرحالة الـغربيون في مذكراتهم، ووصفوا أعدادها الكبيرة في مناطق عديدة من المواطن التي تعيش فيها، حيث كانت الآرام تعيش في قطعان تتراوح أعدادها في كل قطيع من ٥٠ إلى ١٠٠ ظبي، وقد يكون القطيع أحياناً أقل من ذلك. ويسمى هذا القطيع من ظباء الريم جميلة والجمع جمايل، ويقود القطيع عادة أنثى جماء لا قرون لها تسمى العنود وتكون أول من يهرب عند الخطر ويتبعها باقي القطيع، ولا يوجد قطعان بهذا العدد إلا ظباء الريم، أما العفري والأدمي وغزال بلقيس فـلا يزيد عدد القطيع فيـها عن بضع ظباء عادةً. ويـتكون القطيع عادةً من ذكر سائـد، ومجموعة من الإناث البالغة وما يتبعها من الشوادن والجديان، كما قد يحتوي القطيع على بعض الذكور اليافعة.

ظبي الريم وهو ظبي الرمال

ويتسم نشاط الريم بحركة موسمية طويلة ضمن نطاق المواطن التي يعيش فيها. فيتجول في مناطق شاسعة بحثاً عن الأعشاب والنباتات المناسبة لغذائه، ويساعده في ذلك أرجله الرفيعة الطويلة وجسمه الممشوق وسرعة عدوه التي قد تبلغ ٧٠كم في الساعة، وقد تلجأ بعض الآرام إلى الخروج من المناطق الرملية إلى المناطق المجاورة بحثاً عن الغذاء.

تنشط الآرام خلال فترتي الصباح الباكر والمساء، وقد تصبح ليلية المعيشة خلال فترات اشتداد حرارة الجو، وتصرف الحيوانات جزءاً كبيراً من الوقت في البحث عن الغذاء، والعناية بالجسم والاختفاء من الأعداء، وتتغذى بالحشائش والأعشاب الحولية، وأوراق النباتات المعمرة وأزهارها. ولا تحتاج إلى شرب الماء بل تكتفي بالماء الذي تحصل عليه من النباتات التي تتغذى بها، مثل براعم العرفج والنباتات التي تمتص الندى في فترات الصباح الباكر أو الليل مثل الشبرق، ولذلك يعدها العرب من الجوازىء التي تجتزئ بالنبات الرطب عن الماء. وهي قادرة على أكل النباتات التي قد لا تستسيغها الحيوانات الأخرى، مثل نبات اللبان.

يوافق موسم الولادة فترة هطول الأمطار ووفرة الغذاء خلال الربيع. ولذلك فإن أعداداً كبيرة من الآرام تتجمع خلال الخريف وأوائل الشتاء. ففي شهر تشرين أول (أكتوبر) تحدث الدورة النزوية، وخلال هذه الفترة تتكون مناطق السيطرة وما يتبعها من تنافس قوي بين الذكور على الإناث البالغة، وتستخدم الذكور البراز والبول وإفرازات الغدد الوجهية (الخنتور) في ترسيم هذه المناطق وحمايتها من تعدي الذكور الأخرى المنافسة.

تحدث الولادات خلال شهر آذار (مارس) ونيسان (إبريل) بعد فترة حمل تبلغ حوالي خمسة أشهر، وتلد أنثى الريم عادة توأمين بعكس أنثى العفري والأدمي التي لا تلد توائم عادة، وتعتني الأم بالصغار حتى تفطم وتعتمد على نفسها وتبدأ بأكل النباتات، وتبلغ الآرام سن التكاثر خلال عامها الأول.

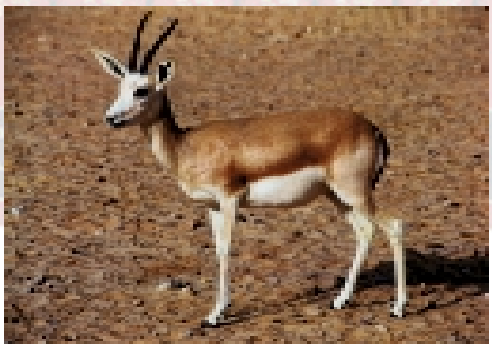

ظبي الريم

وقد تناقصت أعداد الآرام في الجزيرة العربية، مثل غيرها من الحيوانات الفطرية الكبيرة، منذ بداية القرن العشرين. وبحلول منتصف القرن العشرين أصبحت أعدادها قليلة جداً، وانحصرت داخل مناطق. ولا شك في أن وسائل النقل الحديثة، خاصة السيارات ذات الدفع الرباعي، والأسلحة الآلية المتعددة الطلقات ساهمت كثيراً في حصد أعداد كبيرة منها في وقت قصير. وقد روى كثيرون من كبار السن أن السيارات كانت تطوف بالسهول والمناطق التي تنتشر فيها الظباء وتعود محملة بالمئات منها لا تجد من يأخذها، فترمى في أطراف المدن بعد تعفنها وفسادها. وقد تأكدت هذه الروايات في مذكرات بعض الرحالة الغربيين الذين كتبوا عن الجزيرة العربية.

الأدمي: وهو ظبي الجبال، وهو ظبي شائع في الجزيرة العربية، رشيق الجسم متوسط الحجم، دقيق العنق طويله، لذلك يوصف به كثيراً عنق الفتاة الحسناء، ويميل لون جسمه إلى اللون البني الداكن. وعلى امتداد جانبي الوجه خطان بنيان واضحان ممتدان من أعلى الأنف حتى نهاية العين الداخلية، كما توجد بقعة بنية على الأنف، وخط بني داكن على الخاصرة، يفصل لون الجسم البني عن البطن بقعة بيضاء، وهناك اختلاف في درجة اللون حسب المنطقة التي يعيش فيها هذا النوع من الظباء. فالمجموعات

ظبي الأدمي وهو ظبي الجبال

المنتشرة في المناطق الشمالية الغربية أفتح لوناً من تلك التي تعيش في تهامة الحجاز. وللذكور والإناث قرون قصيرة عريضة القاعدة، هي في الذكور مستقيمة الشكل منحنية الرؤوس إلى الأمام قليلاً عليها حلقات واضحة، يصل طولها إلى ٢٠سم، أما قرون الإناث فهي أصغر حجماً، والذيل قصير ينتهي بخصلة من الشعر سوداء.

وكان الأدمي واسع الانتشار في معظم مناطق غرب الجزيرة العربية وجنوبها، وكذلك سواحلها الشرقية حيث كان يقطن المناطق الجبلية والمنحدرات والأودية المحاذية لساحل البحر الأحمر والبحر العربي وخليج عُمان. ويعيش الأدمي في قطعان صغيرة، وقد يعيش وحيداً في بعض الأحيان. وعلى الرغم مما تعرض له من صيد جائر واقتحام لمواطنه الطبيعية، أدى إلى تدني أعداده تدنيا شديداً فإن مجموعات صغيرة ما زالت موجودة في بعض المناطق النائية في المنطقة الشمالية الغربية من المملكة.

يتكيف الأدمي مع البيئة الجبلية التي أكثر ما يعيش فيها. فلون جسمه يماثل المناطق الجبلية التي يعيش فيها، ويستعين بحاستي السمع والبصر في تحديد أماكن الخطر المحتملة، ويمارس نشاطه في فترات الصباح أو المساء، إذ تكون درجات الحرارة منخفضة ولكي يتفادى أشعة الشمس الحارقة. وفي أكثر المناطق حرارة، كما في بعض مناطق تهامة، تنشط الأدم للبحث عن الغذاء خلال الليل وتختفي في الأودية تحت الأشجار خلال النهار. ويتحمل الأدمي العطش لفترات طويلة خاصة خلال فصل الشتاء عندما لا يجد الماء، حيث يعتمد على الماء الذي يحصل عليه من النباتات التي

ظبي الأدمي

يتغذى بهـا. ولكنه قد يحتاج إلى الماء كل ٧ أيام خلال فصل الصيف وهو أمر يضطـره للورود إلى تجمعـات المياه في الوديان مما قد يعرضه لخطر الافتراس أو الصـيد. ويتـغذى الأدمي بـالحشائـش والأعشاب خلال فصل الربيع، ويعتمد على النباتات الكبيرة مثل أشجار السمر والطلـح والسدر وغيـرها خلال فصل الجفاف، وتعدّ البراعم النامية والأوراق والأزهار غذاءه المفضل.

يرتبـط تكاثر الأدمي غـالباً بموسم الأمطار بشكل عام، ولـكن قد يحدث التزاوج طوال العام. وتحدث الـولادات عادة في فصلي الربيع والخريف، وتلد الأنثى صغيراً واحداً في كل مرة، وتمتد فترة الحمل لستة أشهر، وتصل الإنـاث مرحلة البلوغ خلال ستة شهور إلى عام من عمرها.

العفري: وهو الظبي السعودي، وهو أصغر أنواع الظباء المعروفة في المملكة. لون جسمه فاتح بصورة عامة، والمنطقة الجانبية والظهرية غالباً ذات لون رملي. أما الجهة البطنية فبيضاء، وعلامات الوجه واضحة، والشريط الداكن على الخاصرة غير محدد المعالم، وآذانه طويلة، وذنبه قصير ينتهي بخصلة من الشعر سوداء. تمتاز قرون العفري بأنها طـويلة متباعدة

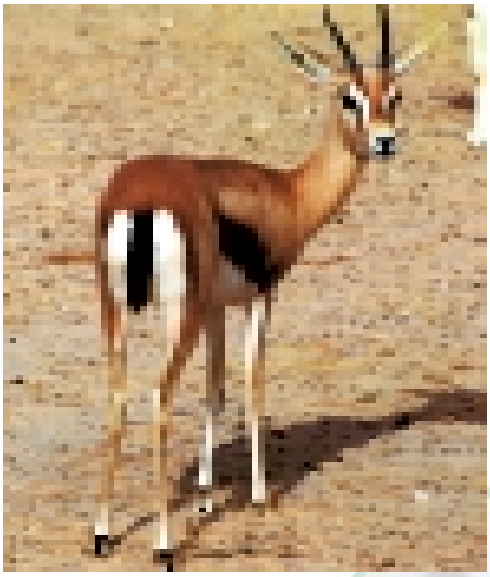

ظبي العفري وهو الظبي السعودي

مستقيمة. وحلقات قرون الذكر لا الأنثى واضحة. وتتميز قرون العفري بأنها أطول من قـرون الأدمي إذ يصل طـولها في الذكـور إلى ٣٠سم وفـي الإناث إلـى ٢٤سم. وأكثر ما يتغذى العفري بأوراق أشجار الطلح والأعشاب والحشائش.

والمعلومات عن أنشطة تكاثر العفري قليلة. تصل الإناث إلى مـرحلة البلوغ بين الشهرين السادس والثامن من عمرها، وتبدأ أنشطة التزاوج عادة في الربيع حيث تلد الأنثى صغيراً واحداً بعد فترة حمل قد تصل مدتها ٨ أشهر تقريباً.

والعفري من الظباء المتـوطنة النادرة في المملكـة. وانتشاره في مواقع قليلـة جداً، تـنحصر فـي السفـوح الشرقـية

للمرتفعات الشمالية والغربية والجنوبية الغربية. وعدد المشاهدات الحقلية للعفري خلال العقدين الأخيرين جدّ قليلة، ومن المحتمل وجود بعض منه شمالي المدينة المنورة، ويخشى أن يكون هذا الظبي النادر قد انقرض بحالته الفطرية في المملكة وفي الجزيرة العربية إذ لم يسجل وجوده في المملكة منذ عام ١٩٨٠م. وتبذل الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها جهوداً حثيثة للتأكد من نقاوة التركيبة الوراثية لبعض الأفراد التي يعتقد أنها عفري، وموجودة في عدد من المجموعات الخاصة وفي حدائق الحيوان في المنطقة.

تدنت الأعداد الموجودة من أنواع الظباء كافة منذ منتصف القرن الميلادي الحالي تدنياً ظاهراً في مواطنها الطبيعية بالجزيرة العربية، وكان للصيد الجائر، ومزاحمة الماشية المتزايدة لها، والقضاء على معظم المناطق الرعوية التي كانت تعتمد عليها في معيشتها وانتشارها، أثره البالغ في انحسارها عن كثير من مناطق انتشارها السابق.

ولا شك في أن جرمها الصغير، وحب الناس لها وعطفهم عليها، ساعد كثيراً في المحافظة عليها بتربيتها في المزارع والحدائق وحتى في المساكن الخاصة، وكان من أشهر المجموعات المرباة تحت الأسر ظباء الريم والأدمي في مزرعة الملك خالد -طيب الله ثراه- بالثمامة شمال الرياض، وظباء الريم في مزرعة الأمير محمد السديري بالخفيات في القصيم.

وتولت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها منذ إنشائها في عام ١٤٠٦هـ العناية بتلك المجموعات وإكثارها، تمهيداً لإعادة توطينها في مواطنها الطبيعية التي كانت تعيش فيها سابقاً، ومن هذه المواطن المحميات الطبيعية التي أنشئت في مناطق ما تزال تضم مجموعة صغيرة من ظباء الريم والأدمي مثل محمية حرة الحرة في شمال المملكة، ومحمية الخنفة في شمال غرب المملكة. وقد تكاثرت الظباء في تلك المناطق تكاثراً ملحوظاً بفضل المحافظة على الغطاء النباتي ومنع الصيد فيها.

وأعيد توطين ظباء الريم في محمية محازة الصيد شرق مدينة الطائف في شعبان من عام ١٤١٠هـ وتكاثرت أعدادها حتى بلغت عام ١٤١٦هـ أكثر من ٢٠٠ ظبي. كما أعيد في شوال ١٤١٥هـ، إطلاق مجموعة منها في محمية عروق بني معارض في الجزء الجنوبي الغربي من الربع الخالي وهو

أحد مواطنها الطبيعية السابقة، وهي تعيش فيها الآن بصورة طبيعية كما كانت في بداية القرن. كما أعيد توطين ظباء الأدمي في محمية الوعول في حوطة بني تميم في عام ١٤١٢هـ، حيث تزايدت أعدادها كثيراً حتى أصبحت ترى في معظم الوديان بشكل لافت للنظر، كما أعيد توطين أعداد منها في محمية عروق بني معارض عام ١٤١٦هـ.

العائلة الخيلية

تمتاز أفراد هذه العائلة بحافر واحد في كل قائمة من قوائمها، وهي حيوانات نشطة، يكسو جسمها شعر أملس ناعم. رأسها متطاول، ومنطقة المخ صغيرة بالنسبة إلى الوجه. وتضم هذه العائلة الحصان والحمر المستأنسة والبرية وحمر الوحش، وتستوطن جنوب آسيا وغربها وشرق إفريقيا وجنوبها. ويتبع هذه العائلة نوعان استوطنا الجزيرة العربية هما: الحصان العربي، والحمار البري الآسيوي أو الأخدر.

الحمار البري الآسيوي. ويسمى الأخدر السوري ويعيش في الصحارى الجافة الباردة حيث ينتشر في مساحات واسعة من العالم القديم تتوافر فيها المناطق العشبية. ويمتد موطن انتشاره السابق إلى الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية. وهو حمار صغير الجسم، يميل لونه إلى الأحمر أو الرملي، ويمتد بياض البطن

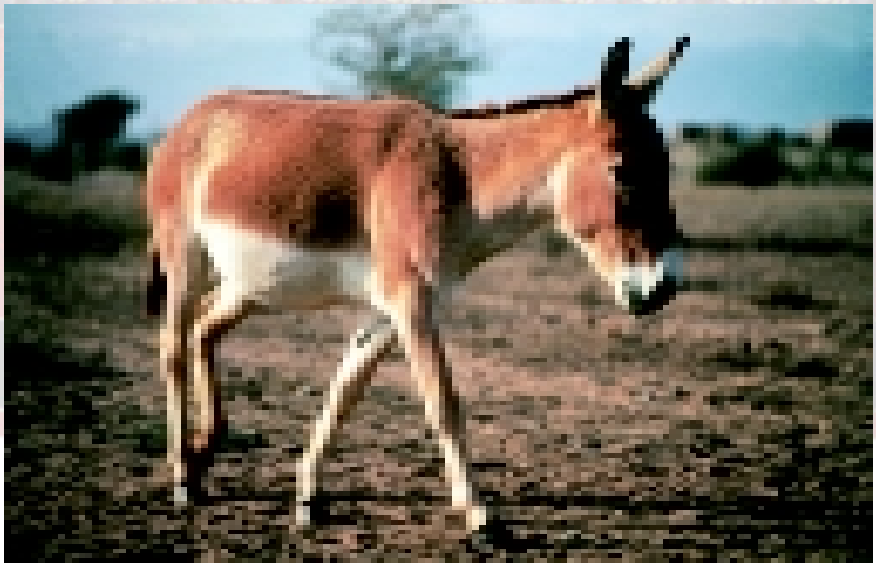

الحمار البري

إلى داخل الـكتفين، وتشبـه أذناه أذني الخيل، وله عرف قصير داكن اللون وذيل كث. فيه أحياناً خط على الكتف. وهو مرهف حواس البصر والشـم والسمع. لا يرد المـاء إلا مرة كـل يومـين. وقد انقرض هذا الحمار من مناطق شبه الجزيرة العربية في أوائل الـقرن العشرين، غير أن أعداداً قليلة من أنواع قريبة الشبه به تعيش في بـعض مناطق آسيا الوسطـى في مناطق محمية.

ويعتقد أن الحمر البرية من نسل الحمر الأهليـة للتشابه الـكبير بين الجـنسين، ولذلك فهناك اعتقاد قوي أن الحمر الأوابد (الضَالَّة) اليوم في كثير من أجزاء الجزيرة العربية هي بقـايا الحمر البرية السابقة، وقد اسـتطـاعت الـبقـاء علـى هيـئة مجمـوعات متفرقـة في أجزاء الجزيرة العربية، نتيجة لصفاتها الجسمية القوية، وجودة تكيف نسلها من الحمر البرية مع الحياة تحت الظروف البيئية القاسية السائدة فيها. وكلتا المجموعتين من الحمر البرية تتحمل الجفاف، وهي انتهازية الرعي، ولها قـدرة على رعي الأنـواع القاسية والخشنة من النباتات الرعوية لكنها تحتاج إلى الماء باستمرار وترتـاده حتى لو كان بعيداً.

أنثى حمار بري وصغيرها

عائلة الوبر

ينتشر أفراد هذه العائلة في شرق إفريقيا وغربها وجنوبها، وكذلك في جنوب غرب آسيا. ويمثل هذه العائلة نوع واحد في الجزيرة العربية هو الوبر الصخري، الذي يشبه الأرنب في مظهره الخارجي، ويقطن المناطق الصخرية، وبعضها الآخر شبه شجري في معيشته.

الوبر الصخري. الوَبْر، بفتح الواو وسكون الباء الذكر، والأنثى وبرة. ويجمع على أوبار، ووبران، ووبار، ووبور، ووبارة، وإبارة. وهو حيوان يشبه الأرنب القصير الأذنين، أو الفأر الكبير الكثيف الشعر. وهو فريد في تركيبه العام، ذيله مختزل، يمتاز بأسنانه وجمجمته، فقواطعه العلوية لها شكل الخنجر أو الناب، وهي في الذكور أكبر من الإناث، أما القواطع السفلية فهي مختلفة، تشبه المشط، ولذا تستخدم في تمشيط الفراء، وأضراسه تنمو باستمرار طوال حياته. وفي أصل الأصابع جلد يساعد على الالتصاق بسطح الصخور، أو فروع الأشجار التي يمشي عليها، وأما إفراز الغدد العرقية الحساسة فيساعده على الثبات أثناء سيره على السطوح الملساء. ويغطي جلد الحيوان وبر بني غامق،

الوبر

وتنتشر على سطح الجلد شعيرات لمسية طويلة سود. وفي منتصف الجزء الخلفي من ظهره غدة الرائحة التي تظهر على هيئة بقعة بيضاء أو صفراء تصبح واضحة وضوحاً كبيراً أثناء موسم التزاوج. ويخالف بموضع الغدة هذا بعض أنواع الحيوانات الأخرى إذ تكون غدته عادة قريبة من منطقة المخرج.

يعيش الوبر في الجزء الغربي من الجزيرة العربية، في جبال الحجاز واليمن ومنطقة ظفار في سلطنة عُمان، وفي مناطق وسط الجزيرة، في جبال أجا وسلمى، وسلسلة جبال طويق، ويعيش الوبر في المناطق الصخرية، حيث تتوافر الجحور والشقوق التي تهيئ بيئة مناسبة لاختفاء الحيوان وهروبه من المفترسات؛ قال حميدان الشويعر:

إلى شافوا الخِطّار عنهم تلاوذوا
تلاوذْ وِبْران لِجَتْ بِصْدوع

شافوا: رأوا. والخطار: الضيوف، تلاوذوا: أي هربوا واختفوا بسرعة، لجت: لجأت

وحياة الوبر حياة جماعية إذ يعيش في كل منطقة صخرية، من مناطق وجوده، مجموعة كبيرة من الوبران. وفي كل شق أو جحر مجموعة من الإناث وصغارها، ومعها ذكر بالغ، ولكل مجموعة نقاط مراقبة في أماكن بارزة على الصخور يقف عليها أكبر الذكور، وهو قائد المجموعة، يراقب المفترسات. وعند رؤية أي عدو يُصدِر صفيراً يستجيب له كل أفراد المجموعَة من دون تردد بالاختفاء في الشقوق إلى حين زوال الخطر. وهو لا يبتعد عن جحره خصوصاً في الأيام الغائمة خشية من الطيور الجارحة التي لا يرى ظلها على الأرض وهي محلقة على ارتفاع عال.

والوبر حيوان نباتي التغذية يأكل العشب وأوراق الأشجار، مثل أشجار الطلح والبشام والظبيان والسمر والكتاد. ويفضل الأوراق خاصة في فصل الصيف، ويأكل الحبوب والثمار التي تسمى الحِبْلَة. وقد وجد أنه يأكل النباتات التي تكون سامة للحيوانات الأخرى. ومعدة الوبر طويلة ذات ثلاثة أجزاء، ولكليتيه قدرة عالية على استخلاص الماء من البول وتركيز الأملاح فيه تركيزاً شديداً بحيث يصبح غليظ القوام، فهو من مركبات كيميائية تتبلور بسرعة على الصخور التي تطرح عليها.

تتزاوج الوبران في الربيع، وتلد الإناث من ٣ إلى ٤ وأحياناً ٥ صغار، بعد فترة حمل تتراوح بين ٧ إلى ٨ شهور، وتولد الصغار في مرحلة متقدمة

من النمو، أي وهي قادرة على الحركة والجري. ترضع الأم الصغار لمدة ثلاثة أشهر، وعندما يصل عمر الذكور من ١٨ إلى ٢٤ شهراً، تضطر إلى الانتشار في أماكن أخرى، ولا يسمح لها بالبقاء في جحر المجموعة، حيث لا يبقى سوى ذكر واحد بالغ، وتموت معظم الذكور عند هذا العمر، أما الإناث فإنها تبقى مع المجموعة كل فترة حياتها.

ويصف العرب الوبر بأنه حيوان له بعض الصفات الغريبة يختلف بها عن غيره من الحيوانات . فيداه وقدماه تشبهان قدم الإنسان غير أن له ثلاث أصابع فقط، وذيله قصير جداً، ولونه أغبر أو رمادي، وله رأس مثل رأس البعير وأذنٌ قصيرة مثل أذنه. وتعوقه أرجله القصيرة عن العدو السريع، قالوا في المثل الشعبي «أقصر من يد الوبر»، لذلك يعيش في الجبال بين الصخور وتساعده على البقاء والحياة مقدرته الفائقة على القفز بين الأحجار، وسرعة الاختفاء من الأعداء في الشقوق.

والوبران من الحيوانات التي يصيدها الناس في كثير من مناطق جبال الحجاز، وكثيراً ما تصاد عندما يخفق الصياد في صيد الحيوانات الكبيرة كالوعول، مع أنها صعبة المنال لشدة حذرها ووعورة البيئة التي تعيش فيها، وكثيراً ما ترمى وتصاب ولكن الصياد لا يجدها لسقوطها بين الأحجار، أو دخولها بين الشقوق فتموت داخل جحرها.

تعيش الوبار في الشعاب والوديان خصوصاً الشعاب الكثيرة الأحجار والصخور، وتسمى هذه الشعاب السرب، ومفردها سربة. والسرب التي توجد بها وبار توصف بأنها مَوْبرة. والموبرة أو الميبرة هي المكان الكثير الوبارة. وفي كل موبرة قائد للمجموعة، يتخذ عادة مكاناً واضحاً يشرف منه على كل الموبرة. ومهمته الإشراف على المنطقة ومراقبة أي دخيل، وبه ضرب المثل الشعبي «مثل رقيب الوبران». ويسمى السابر والرقيبة أي الذي يسبر الأعداء ويرقبهم. وعندما يرى السابر أي حيوان مفترس أو إنسان فإنه يَصرّ أي يصدر صوتاً قوياً حاداً متكرراً مثل «صِرّ. . صِرّ». وكل من يسمع هذا الصرير من الوبران يعلم بمداهمة الخطر، ويختفي في الشقوق والأحجار بأقصى سرعته وإلا تعرض للموت.

وهناك صوت آخر تصدره الإناث أو الأمهات يسمى وَسْلَكه، وهو يشبه صوت العصافير. وهذا الصوت يصدر عن الأمهات لإخراج الصغار وبقية

المجموعة من الشقوق أو الجحور لمتابعة الرعي والبحث عن الغذاء. وهو بمثابة الصوت الذي يدل على خلو المكان من الأعداء وزوال الخطر. ويعمد الصيادون المهرة إلى تقليد هذه الأصوات فتسمعها الوبران فتخدعها وتظن المكان خالياً من الأعداء وتخرج وينالونها بسهولة، وتسمى هذه الطريقة تنقيضا.

وفي وقت التزاوج أو (النشيَرة)، الذي يحدث في أشهر الصيف تموز وآب (يوليو وأغسطس)، تصدر الذكور صوتاً خاصاً تدعو به الإناث يطلق عليه صوت اللعب ويكون مثل: زر... زر، صِرِ... صِرِ، كخ... كخ. ويردد عدة مرات. ويتخذ الذكر وقت النشيرة مكاناً منعزلاً عن بقية المجموعة، يختاره بحيث يكون حصيناً، ولا يخرج منه بسهولة، لحذره الشديد خلال هذه الفترة. ومعظم الصيادين المهرة يستطيعون تقليد صوت لعب الذكور خلال فترة التزاوج، وعندما يفعلون ذلك فإنهم يخرجون الوبر من غاره أو جحره، ويجعلونه يتتبع مصدر الصوت، حتى يصل إلى الصياد أو قريباً منه، فيرميه. ويكثر القتال والمشاجرة بين الذكور خلال موسم التزاوج، وكثيراً ما يعمد إلى العض في القتال، ويسمع صوت للحيوان المعضوض. وهو صوت مثل السكسكة أو الوصوصة وهو الصوت نفسه الذي تصدره هذه الحيوانات عندما تصاب برصاص الصيادين.

ويسمي أهل البادية الذكر البالغ الكبير الجسم من الوبران ذيخاً، ويسمون الأنثى البالغة نَجْعَه. ويطلقون على الصغار من الجنسين فسوسا. ومفردها فِس، وتسميه البادية أيضاً جروا وذلك ما لم يبلغ السنة. أما إذا بلغ عمر الوبر سنة واحدة فيقال له عامي، أي له عام واحد، ولا يرميه الصيادون لصغر سنه وحجمه. وكذلك لا يرمون الفسوس. ولا يصيدون الذيخ وقت الشهوة أو النشيرة، لأنه يكون قد فقد كثيراً من شحمه ولحمه بسبب التزاوج. ويكون في هذه الحالة هلامة أي هزيلاً لا يصلح للأكل.

تعيش الوبارة في جماعات كبيرة في شعب واحد. ولكل جماعة قائد هو الذكر الكبير في المجموعة، وتتكون بقية الجماعة من الإناث والصغار من الجنسين، وعندما تكبر الصغار من الذكور تستقل عن الجماعة. وكثيراً ما يشاهد الذكر الكبير في عراك ومطاردة مع ذكور أصغر سناً لإبعادها عن المجموعة.

تنشط الحيوانات خلال أول النهار وآخره في الصيف، وتنشط في منتصف النهار خلال الشتاء، ولكن هذا السلوك

قد يتغير عندما تحدث في محيط الحيوان بعض التغيرات التي تضطره إلى تغيير فترة نشاطه الطبيعية. فقد حدث أن أحد المولعين بصيد الوبارة كان يتردد على الموبرة صباحاً وبعد الظهر، أي خلال الفترة التي تكون فيها الوبران نشطةً لاعتدال درجة الحرارة، ولكنه لم يجد أي وبر في المنطقة على الرغم من معرفته أنها مليئة بالوبارة. وذات يوم مر ابنه وقت الظهيرة على المنطقة فوجد الحيوانات تجول في كل مكان بأعداد كبيرة. فحدَّث والده الذي فطن إلى أن الوبارة عرفت وقت زيارته لها فغيَّرت فترة نشاطها لتتفادى رصاص بندقيته.

ويعدّ «العيسا» وهو العقاب الضخم المسمى بالعقاب الملكي، أحد أهم أعداء الوبر بعد الإنسان. حيث يقف على مقربة من الموبرة يراقب الحيوانات، وعندما يشاهد أي حيوان ينقض عليه من علو. والطريف في الأمر أن الوبر لا يبدي أي مقاومة لهذا الطائر الضخم القوي، فعندما يرى الوبر طائر العيسا يقترب منه يَصِرّ بصوت حاد، ويجمد في مكانه لا يتحرك حتى يأخذه بمخالبه، ويرتفع به إلى علو شاهق ثم يتركه يسقط على الأرض ليموت، ثم يأخذه لوكره في الجبال ويأكله. ومن الأعداء الجديدة الوافدة على بيئة الوبر، القطط الأليفة. فقد انتشرت هذه القطط في كثير من المناطق التي يعيش فيها الوبر، خاصة تلك القريبة من القرى والهجر، وتدخل هذه القطط في جحور الوبارة وشقوقها فتقتلها وتتغذى بها.

وللوبارة سلوك غريب في التخلص من فضلات أجسامها، فكل مجموعة تسكن في شق واحد أو جحر واحد تتخذ لها مكاناً معيناً يكون عادة في مدخل الشق أو الجحر ليتبرز ويتبول فيه كل أفراد المجموعة. وفي كثير من الأحيان يكون مكان التخلص من الفضلات طريق دخول وخروج الحيوانات فيعجن البراز، وهو على هيئة دمن، بالبول فيتكون منهما خليط مثل العجينة يتماسك بمرور الزمن وتتابع الإضافة وكثرة الدهس حتى تتحول العجينة إلى خليط يميل لونه إلى اللون الأشقر، وهي عجينة متماسكة شديدة القوام، يطلق عليها أهل البادية اسم الصِّنْ، ويستخدمه كثير منهم دواء فعَّالاً لكثير من الأمراض، مثل الربو والزكام وآلام الرأس والمكر، وهو ما يتعارف أهل المدن على تسميته بالشمم. وهو حالة التغير في الجرح إذا تعرض الشخص لرائحة غريبة، مثل العطور أو رائحة البنزين أو الدمن أو غيرها.

ويستخدم أهل البادية الصن أيضاً في علاج إبلهم عندما تصاب بمرض يدعى النَّحاز، بالنون المشددة المفتوحة، وهو داء يشبه الزكام الذي يصيب الإنسان، ويسمع للبعير المصاب صوتٌ مثل صوت المزكوم، وهو مرض خطير قد يسبب موت البعير إن لم يعط الصن بعد أن يخلط بالماء ويسقى له، وهو دواء فعال لهذا المرض. كما يستخدمونه أيضاً، مخلوطاً بماء الشرب، لعلاج مرض أبي الركب الذي يصيب مفاصل الأغنام وهو علاج ناجع لها.

ويضرب بالوبر المثل في السواد؛ قال رجل من بني تغلب:

إذا رجونا ولداً من ظهر
جاءت به أسود مثل الوبر
من بارد الأدنى بعيد القعر

كما يضرب به المثل في نتن الرائحة؛ قال الشاعر:

تطلي وهي سيئة المعرى
بوخر الوبر تحسبه ملابا

والمعنى أنها تطلي ما ظهر منها، وهو يداها ووجهها بنتن الوبر وتحسبه الملاب وهو الطيب أو الزعفران، ونتن الوبر هو بوله وله رائحة قوية. وقال مخارق بن شهاب يهجو قوماً بأن أرضهم كثيرة الوبار:

فياراكبا أما عرضت فبلغن
بنى فالج حيث استقر قرارها
هلموا إلينا لا تكونوا كأنكم
بلاقع أرض طار عنها وبارها

عائلة الأرانب

تنتشر أفراد هذه العائلة في جميع أنحاء العالم. ولم تكن موجودة في كل من جزيرة مدغشقر وأستراليا، إلا أنها أدخلت هناك وتكاثرت لدرجة أصبحت معها مضرة بالنظام البيئي. أجسامها متطاولة، والرأس مستطيل والآذان والعيون كبيرة. والشفاه العليا مشقوقة والشوارب قوية طويلة. وللأطراف الأمامية خمس أصابع، وللخلفية أربع أطول من أصابع الأمامية. ويمثل هذه العائلة في شبه الجزيرة العربية نوع واحد فقط هو الأرنب البري.

الأرنب البري. الأرنب اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ويميز باسم الإشارة فيقال: هذا أرنب وهذه أرنب، وقد يقال للأنثى أرنبة، وتجمع على أرانب. ومن أسمائها الخُزَزُ للذكر وتجمع على خِزَّان وأخِزَّة، وعكرشة للأنثى، ولولد الأرنب الخرنق وإذا كبر وفطم فلم يعد يرضع منها فهو سلفع وإذا كبر قليلاً واشتد عوده ولّما يتزاوج فهو غويلب،

الأرنب البري

كما يقال له غويلب السلق لسرعته وقدرته على الانحراف الحاد مما يتعب كلاب الصيد (السلق) التي تطارده وبذلك يغلبها، وكذلك هو سخلة ثم خزز إن كان ذكراً وعدنة إن كان أنثى، وكل منهما أرنب. وأرانب الأرض الخلة أسرع من الأرانب التي ترعى الحمض، وتسمى الأرض الكثيرة الأرانب أرضاً مؤرنبة، كما يسمى موضع الأرانب المَخَزَّة.

يستوطن الجزيرة العربية نوع واحد من الأرانب البرية يضم خمسة «نويعات» تتوزع في المناطق المختلفة، وفي المملكة منها «نويعان»، أحدهما يستوطن الهضاب والمناطق الجبلية، والآخر المناطق الرملية، وهناك نويع في سلطنة عُمان، وآخر في جزيرة مصيرة قرب الساحل الجنوبي للسلطنة، والنويع الخامس في البحرين. وتتركز الاختلافات بين نويعات الأرنب البري في اللون وحجم الجسم والجمجمة.

والأرنب متكيف مع البيئة التي يعيش فيها، فلون النويع الذي يعيش في الجبال داكن مشابه لبيئة الهضاب والجبال، بينما لون النويع الذي يعيش في المناطق الرملية يميل إلى اللون الفاتح الرملي. والأرانب مرهفة الحس، حادة الإبصار، قوية الشم، وهي صفات تمكنها من الهرب من المفترسات، مثل الطيور الجارحة والضواري التي تعتمد عليها مصدراً لغذائها. والأرنب خفيف الوزن. وأطرافه

الخلفية الطويلة تكسبه القدرة على القفز، وسرعة الجري التي قد تصل إلى ٧٠ كم في الساعة، وهو عامل مهم في هروبه من المفترسات، خاصة في البيئات الرملية والحصوية المفتوحة.

ومن التكيفات المهمة في الأرانب البرية الأذن الكبيرة الطويلة التي تضاعف مقدرتها السمعية وتساعد على تحديد مصادر الخطر بدقة. وكبر حجمها يؤدي إلى زيادة مساحة سطحها المعرض للهواء، ويساعد وجود شبكة كبيرة من الشعيرات الدموية فيها على زيادة كفاءة تبريد الدم، خاصة إذا توافر الظل ونسمات الهواء مما يخفض من درجة حرارة جسم الحيوان في الحر القائظ.

ويلاحظ أن النويعين الموجودين في البحرين وجزيرة مصيرة، لهما آذان أصغر من النويعات الثلاثة الأخرى التي تعيش في مناطق مفتوحة في وسط الجزيرة العربية تتسم بدرجات حرارة أعلى.

تتغذى الأرانب البرية بالأعشاب والحشائش، وكثيراً ما تأخذ بعض حبيبات الرمل مع الغذاء. ولذلك فإن قواطع الأرنب تنمو باستمرار لتعويض ما يبلى منها. وجهازه الهضمي متخصص، ويمر معظم الطعام مرتين أو أكثر بالقناة الهضمية، إذ يتناول البراز الحاوي على الغذاء بعد طرحه إلى الخارج. وعند مرور الطعام للمرة الثانية في القناة الهضمية تهضم المواد الغذائية التي لم تهضم خلال المرة الأولى. والأرنب ليلي النشاط، فهو يتغذى خلال الليل، ويستظل تحت الشجيرات خلال فترة النهار مبتعداً عن حرارة الشمس الشديدة.

ومن عادة الأرنب عندما تقوم من مربضها أن تنفج أي تسرع في خطوها مبتعدة عنه، ويكون ذلك وقت العتمة بعد غروب الشمس إلا إذا كانت المنطقة خالية (قفرا) فإنها تخرج عصراً. ويعرف أبناء البادية آثار الأرنب التي يسمونها جُرَّة إذا كانت في أول الليل أو في وسطه أو آخره إذ لكل منها أثره المميز، وإذا كانت الأرنب متجهة إلى مربضها آخر الليل عند انبلاج نور الصبح فإنها تعمد إلى التمرغ أولاً ويكون لجرتها شكلها المميز، ويسمى الأرنب في هذه الحالة مصبِّحْ أو مشرِّقْ، وزعموا أنها تعود إلى مربضها من طريق واحد حتى قالوا في المثل الشعبي «مثل الأرنب إلى سرحت ما تدل إلا مع دريبها». وتعمد الأرنب إلى السير على زمعاتها وتخفيف وطأتها في ذلك الوقت حتى لا تكاد ترى آثارها وهي متجهة إلى مربضها الذي يسمى

الدحل تحت شجيرة. ويختلف مربض الأرنب في الأيام الحارة عنه في الأيام الباردة، وقد تغيره في اليوم الواحد أكثر من مرة بحثاً عن الظل البارد في الصيف، وعن الدفء في الشتاء. وفي العادة لا تنفج الأرنب من مربضها في أول النهار ولا في وسطه حيث تكون نائمة أو متوارية عن أعدائها من الطيور الجارحة وغيرها، وإذا نفجت خلال تلك الأوقات فإنها لا تبعد عن مربضها. ويمكن للخبير أن يأخذها من مربضها خلال تلك الأوقات. أما إذا «نفجت» الأرنب في وقتها المعتاد آخر النهار قرب الغسق فإنها تبعد كثيراً عن مربضها، وتنفج مرة بعد مرة مبتعدة أكثر وأكثر، ولذلك يقال «شاوفت الأرنب» أو «أرنب مشاوف».

تعيش الأرانب فرادى أو جماعات مكونة من عدة أفراد في منطقة واحدة. وعند بداية الدورة النزوية في الإناث تجتذب الأنثى عدة ذكور، وتكون لها السيطرة عليها، وذلك لكبر حجمها. وقد تهاجم الأنثى بعض الذكور المتقدمة في العمر، وتطرد بعضها، قبل أن تقوم باختيار أحدها لإتمام عملية التزاوج معها، وكثيراً ما تنتهي منافسة الذكور للفوز بالأنثى بنفوق بعضها إذ تتقاتل بالأيدي والأرجل، وقد يحدث ذلك أيضاً أثناء عملية التزاوج. وتتزاوج الأرانب طوال العام، وفي الأحوال غير المناسبة كقلة الغذاء مثلاً، تقوم الأنثى بامتصاص الجنين تلقائياً، وعندما تكون الظروف مناسبة تضع الأنثى عدة مرات خلال فترات قصيرة. تستغرق فترة الحمل حوالي ٤٠ يوماً، وقد تلد الأنثى من ٣ إلى ٥ صغار، ولكنها في الغالب تضع واحداً أو اثنين فقط، وترضع الأم صغارها مرة واحدة في اليوم، وتفطمها خلال شهر واحد، ولبن الأم أغنى في محتواه الغذائي من لبن الماشية ومعظم الثدييات الأخرى، وتصبح الصغار قادرة على التزاوج بعد ثمانية أشهر. تعمر الأرانب في الأسر لمدة ٨ سنوات، ولكن من غير المحتمل أن تصل إلى هذا العمر في البيئة الطبيعية بسبب الصيد أو الافتراس، أو نقص الغذاء، أو الإصابة الخطرة أو الأمراض.

وقد ورد ذكر الأرنب كثيراً في الأمثال فقيل «أطعم أخاك من كلية الأرنب»، ويضرب للمواساة. كما يقال «أقطف من أرنب» ويضرب للمبالغة. وفي احتقار شأنها قيل «بئس الرميّة الأرنب». قال أحدهم يهجو قوماً بأن لا كسب لهم سوى صيد الأرانب وبيع جلودها:

إذا ابتدَرَ الناسُ المعالي رأيتَهم
قياماً بأيديهم مسوك الأرانبِ

والمسوك واحدها مَسْك، وهو جلد الأرنب. ويضرب المثل في التقليل والذل بكراعها؛ قال الأبيدر الرياحي يهجو حارثة بن بدر الغداني:

زَعَمَتْ غُدانة أن فيها سيداً
ضخماً يوازنه جَناح الجندبِ
يُرويه ما يُروي الذُبابَ فينتشي
سُكراً ويُشبعه كراعُ الأرنب

ويضرب المثل بها في سرعة حركتها فيقال «ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب»، والنفجة هي وثبة الأرنب من مربضها، ويضرب المثل للسرعة وقصر الزمن.

ومما زعمته العرب من الأمثال على ألسنة البهائم قولهم: إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب: يا أبا حسل، قال: سميعاً دعوت، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلاً حكيماً، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت: إني وجدت تمرة، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال: حرٌّ انتصر لنفسه، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت. فذهبت أقواله كلها أمثالاً.

ومن الاعتقادات الباطلة الشائعة عند كثير من الناس أن الأرنب له القدرة على مقاومة قوة الشيطان، خاصة الأنثى (عكرشة)، التي تتميز عن الذكر بالطمث، وكذلك بعلاقتها بالقمر والنجوم الستة المعروفة باسم الثريا، التي يعتقد أنها تبعد الشر أو تبعد شر الجن. وقضية مقاومة الأرنب لقوة الشيطان أو إبعاده الجن زعم قديم عند العرب. قد يكون سببه التوهم بأن الأرنب تحيض، ولذلك فهي ليست من مراكب الجن، وهي في ذلك مثل الضبع فهو ليس من مراكب الجن لمكان الحيض منه.

وهناك من سكان الجزيرة العربية كثيرون لا يأكلونها ويسمونها شرمة لانشقاق شفتها العليا، كما يطلق البعض عليها كلبة فاطمة أصل هذا الاسم غير معروف. وقد يعود تقزز كثير من العوام من أكل الأرنب لشبهها بالقط، أو لتوهمهم أنها تحيض كما تحيض أنثى الإنسان والحيوانات العليا (الرئيسيات) كالقرود، وهو اعتقاد خاطىء. وحقيقة الأمر أن دورة الطمث، وهي الدورة المصحوبة بخروج الدم من جسم الأنثى، لا تحدث إلا في الإنسان والرئيسيات فقط. والمادة

التي تخرج من الأنثى في الحيض ويطلق عليها اسم الدم، هي أنسجة وأوعية دموية تنسلخ من جدار الرحم ما لم يحدث الحمل. أما سائر الحيوانات الثديية، ومنها الأرنب، فإنها تمر بدورة تسمى دورة الشبق أو الدورة النزوية، وعندما لا يحدث الحمل، فإن الأنسجة والأوعية الدموية لا تطرح خارج الجسم، وإنما تمتص داخلياً ولذلك لا تظهر أي آثار لهذه الدورة على الحيوان. كذلك فإن عملية التبويض لا تحدث تلقائياً خلال فترة زمنية معينة كما في الإنسان والحيوانات العليا، وإنما يحدث التبويض بعد دخول القضيب في عنق الرحم وإتمام عملية التلقيح. ولذلك يطلق على هذا النوع من التبويض (مستحث). وإذا لم ينجح الإخصاب فإن البويضة تضمر وتختفي بعد عدة أسابيع فلا ينزل دم حيض عليها.

ويعدّ كثير من العوام الأرنب مثالاً للضعف وقلة الحيلة، ويتخذونه مثلاً لذلك كما في قولهم «أرنب وتأكل لحم»، وقولهم «مثل الأرنب ما تخطيها الحقطة»، ويضرب في كثرة المشاكل وسوء الحظ، كما أن كثيراً من أهل البادية يتطيرون من الأرنب إذا مرت أمامهم أثناء سيرهم ويقال في ذلك «عرضة أرنب». وقد يفسر حدوث كل أمر سيئ بأنه بسبب اعتراض الأرنب لهم. وللأرنب نصيب كبير في القصص الشعبي، وقد تكون الأرنب فيها مثالاً للدهاء والمكر، أو للغرور والاعتداد بالنفس، وأحياناً للضعف وقلة الحيلة.

عائلة السعادين

تستوطن أفراد هذه العائلة أفريقيا وآسيا، وتشمل قروداً طويلة الأذناب وأخرى قصيرة الأذناب ضامرتها. الوجه مدور، واليد مكيفة للمشي والتسلق، ومنطقة العجز ملونة. يقطن منها في الجزء الغربي والجنوب الغربي من الجزيرة العربية نوع واحد فقط هو الرُبَّاح أو البابون.

الربَّاح. وهو البابون، القرد المعروف في الجزيرة، ومن أسمائه الحودل والقردح والهبار. ويسميه أهل البادية الربح وكنيته أبو خالد وأبو ربَّة وأبو فشَّة. ويعتقد أنه قد وصل إلى الجزيرة العربية من الجانب الأفريقي للبحر الأحمر قبل أزمان سحيقة، أي قبل تكوّن منخفض البحر الأحمر.

يعيش الرُبَّاح في جماعات كبيرة قد يصل عدد أفرادها إلى ٥٠ أو ١٠٠ فرد في القطيع الواحد، وقد يصل العدد إلى

الرباح (البابون)

عدة مئات في البيئات الغنية بالغذاء مثل مناطق الغابات، وقد يقل العدد في البيئات الفقيرة أو تلك التي لا تتوافر فيها الموارد الغذائية دائماً، ففي بعض هذه المناطق قد يتكوَّن القطيع من ذكر واحد مسيطر وعدة إناث قد يصل عددها إلى خمس إناث مع صغارها. وتوفر الحياة الجماعية للرباح الحماية الكافية من أعدائه، وكذلك توفر له الفرصة لإتمام التزاوج بالإضافة إلى تعلم المهارات اللازمة للحصول على الغذاء.

تمتاز ذكور الرباح بكبر حجمها مقارنة بالإناث، كما أن لها عرفاً فضيا يغطي مؤخرة الرأس والعنق والأكتاف يضفي عليها منظراً مهيباً، ولها أنياب كبيرة تستعملها في الدفاع والهجوم، أما الوجه فخال من الشعر، والعينان صغيرتان متقاربتان. ولكل من الذكور والإناث مقعدة حمراء، أو وردية، عارية من الشعر. والذيل طويل ينتهي بخصلة شعرية يشول به أثناء مشيه أي يرفعه.

وتؤدي مؤخرة الحيوان ذات اللون الوردي أو المحمر عدة وظائف مهمة منها: أنها تكون أكثر وضوحاً وأغمق لوناً عند الإناث خلال فترة التزاوج، وبذلك تعلن للذكر أنّ الأنثى في حالة

الرباح (البابون)

استعداد للتكاثر. كما تستخدمها الذكور المستسلمة لإظهار فشلها في مواجهة ذكر آخر أو حيوان آخر في القطيع، وذلك بتعريضها وتحريكها من جهة إلى أخرى إشارة إلى الاستسلام والزهد بالمواجهة. ويستخدم قائد المجموعة، أو الذكر المسيطر، مؤخرته للإشارة إلى القطيع لبدء نشاط معين، مثل التحرك من المكان، حيث يقوم برفع ذيله عالياً كالراية، ويحرك مؤخرته يميناً وشمالاً دلالةً على بدء التحرك، وآمراً أفراد القطيع بالسير خلفه. ويسميه بعض أهل البادية (الكبش).

وتحتل الأم المرضع مكاناً مهماً بين أفراد القطيع. أما الصغار فهي موضع إيثار جميع أفراد القطيع وعطفها، فتلعب معها وتهتم بسلامتها. وتواجه الذكور البالغة موقفاً صعباً من الذكر المسيطر وغالباً ما تُرغم على ترك القطيع.

وتزاوجها طوال العام، وللإناث دورة نزوية شهرية حيث تكون في حالة شبق طالبةً للحمل لمدة أسبوع من كل شهر ما عدا فترة الحمل والإرضاع، وتستمر فترة الحمل حوالي ستة أشهر، تلد الأنثى بعدها صغيراً أو اثنين، ويتعلق المولود بفرو أمه بعد ولادته مما يمكّنها من مواصلة

السير والحركة مع القطيع دون عناء. وتولد الصغار ولها جلد وردي، وفرو أسود، وأذنان كبيرتان. وتبلغ الإناث خلال أربع سنوات، أما الذكور فتبلغ خلال السنة الخامسة، وتعمر نحو أربعين سنة.

والرباح حيوان مختلط التغذية، أي أنه آكل عشب وآكل لحم، فهو يأكل أوراق النباتات وثمارها مثل التوت، وأوراق أشجار السنط وصمغها، والنبق والزهور البرية، وثمر أشجار السمر والسيَّال. كما يأكل الزواحف والخنافس والنمل والفراشات. وعند حلول الظلام يلجأ القطيع إلى مكان المبيت، وهو موقع يختار بعناية ليوفر الحماية من المفترسات، فيكون في مكان صعب مثل المنحدرات الصخرية العالية. وقد تجتمع عدة قطعان للمبيت معاً في مكان واحد، ثم تنتشر في الوديان المجاورة عند طلوع الشمس. وتعدّ النمور والذئاب والضباع من المفترسات الرئيسية للرباح.

ويضرب العرب بالرباح المثل في القبح. وقد ضرب الله الأمثال بكثير من أنواع الحيوانات في الذلة والضعف والوهن والجهل، ولكنه سبحانه وتعالى خص القردة والخنازير بالهوان والقبح. قال تعالى: ﴿وَجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ (المائدة: ٦٠)

وقد درج على ألسنة الناس أمثال بهذا المعنى مثل «أقبح من قرد»، و«القرد قبيح لكنه مليح». ومن الأمثال الأخرى فيه «أحكى من قرد» وذلك لأنه يحكي كل ما يرى، و«أكيس من فَشَّة» و«أملح من رُباح»، و«القرد في عين أمه غزال» وغيرها من الأمثال التي تعبر عن سلوك الحيوان وعاداته.

والرُبَّاح عند العرب مسخ، مثله في ذلك مثل الفأر والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت، ويعتقدون أنه ليس من مطايا الجن لأنه يحيض ولا يغتسل، ومن المعروف عن القرد أنه يتفلى فإذا أصاب قملةً رمى بها إلى فيه وأكلها، ويفلِّي الذكر الأنثى كما تفلِّي الأم صغارها في أوقات الراحة.

وقد زخرت كتب الأدب والشعر بالقصائد التي ورد فيها التشبيه بالقرود وأفعالها وسلوكها، وهي في جملتها قصائد في الهجاء والذم وإظهار قبح الأفعال والصور؛ قال البحتري:

مازحته غير ذي علم بخسَّته
في نظم ممدحة من حرِّ أشعاري
فأظهر التيه من جهلٍ وقابلني
بسيّئ لم يكن من حق مقداري
ولو أحاط عُبيدُ الله معرفةً
بعظم شأني اتقى نابي وأظفاري

إحـدى النـوادر مـن قـرد تَعَـرُّضـهُ
من غـير مـقدرة للـقَسْـوَرَ الضـاري

وقال ابن الرومي في هجاء حفص الوّراق:

أصـبـحـت قـرداً يـا أبـا حـفـص
ولـست أيـضـاً مـن ملاح الـقـرود
تـلـك قـرود غـيـر مـمـسـوخـةٍ
وأنـت قـردٌ مـن مـسوخ الـيـهـود

عائلة الشياهم

تستوطـن أفراد هذه العائلـة العالم القديم، وتمتاز بتحور أغلب شعر ظهرها وذيلها إلى أشواك طويلة قوية. ومخالب الأطراف قوية مكيفة للحفر، وباطن القدم عار من الشعر، والذنب قصير، والآذان مستديرة. يقطن الجزيرة العربية نوع واحد منها هو النيص أو الشيهم، وهو واسع الانتشـار حيث يستوطـن أيضاً جنوب غرب آسـيا وجنوب تـركستان والـهند وسيرلانكا.

النيص. وهو الشيهم ويـسمى أيضاً الـشـيـظم، والمـدجّـج، والـدلـول، والدلدول، والـشيهة، وذات المـداري، وأبو شوك. وهو أكـبر أنواع القوارض في الجزيرة العربـية، حيث يصل طوله إلى حوالي المتر، ووزنه إلى حوالي ١٥ كجم. ينتشـر الشيهم في معظم أجزاء الجزيرة العربية عدا الربع الخالي وصحراء النفود وبعض سواحل الخليج الـعربي، وهو أكثر انتـشاراً في المنطقتين الـغربية والجنوبية الغربية ولكن أعداده قليلة.

والنيص قارض ضخم، يمتاز برأس كبير بالنسبة لبقية أجزاء الجسم، ويعود كبر الـرأس إلى تضخم الأنف وأجـزاء الشم الأخرى مما يكسبه حاسة شم قوية تساعده في تحديد أماكن الغذاء. ويغطي الرأس والجزء الأمامي من الجـسم شعر قصير خشن أسود، ويمتاز النيص أيضاً بأن له أطرافاً قوية تنتهي بمـخالب حادة يستخدمها في الحفر للبحث عن الطعام وإعداد جحوره العميقة، وله عرْفٌ من الشعر الـقوي الطويل ينمـو من الرأس ممتداً إلى الرقبة، أمـا بقية أجزاء الجسم فتغطيها أشواك طويلة، وهو ما يميز هذا الحيوان عـن بقية الحيـوانات الأخرى. ولذلك يطلق العـرب على النيص اسم

النيص (الشيهم)

ذات المـدارى، جمـع «مدرى»، وهـو الشوك الـطويل. ولا يكاد يُـعَرف هذا الحيوان في كثير من المناطق إلا بالاسم الشـائع له وهو الـنيص أو أبو شـوك. ويوصف بـأنه يشبه الجرو الـصغير في شكل الجسم والذيل، وأن له شوكاً مثل المحاريب.

وتتفاوت أشواك النـيص في الطول والقطر، فبعضها طويلة يصل طولها إلى ٣٠سم وقطرها صغير، وبعضها قصيرةٌ وقطرهـا كبير، وهـي ذات لون أبيض وأسود أو بني. وأشواك الـذيل مجوفة مفتوحة الطرف، يستخدمها النيص في تخويف الأعـداء، حيث يوجهها نحـو مكان الخطر ويحركها بقوة ليصدر عنها صوتٌ عال. وقد تنفصل بعض الأشواك أثناء هذه العمـلية من جراء قوة الحركة لضعف اتصالها بالجسم، ويفسر بعض العامة هذه المشاهدات خـطأً بأن النيص يقذف بأشواكـه على أعدائه. وقد ورد مثـل ذلك الخـطأ فـي كتـاب الحيـوان للجاحظ حيث يـرى أن النيص، يرمي بشـوكه فـلا يكاد يـخطـئ، وإن هذه الحيوانات تستخدم هذا السلاح في إبعاد الأعداء عنها كما يستخدم القنفذ شوكه ليحـميه من أعدائـه. ويصف الجاحظ قدرتها على فصل شوكها وأنها ترمي به الشخص الذي تخافه مثلما يرمي الرجل السهم، وهو تصور غير صحيح.

ويزعم أهل البادية أنه عندما يهاجم سبع أو إنسان النيص فإنه يـنتفض بقوة ويقذف بالشوك عـلى من يهاجمه مثل السهام. وأنه قد يُسمع لبعض الـكلاب أو السباع التي يرميها بشوكه عواء بسبب ذلك. ويـعدّ الإنسان أحـد أهم أعداء النيـص، فهو يصـاد للأكل في بعـض المناطق ولاسـتخدام الأشواك في حلي النساء. ومن أهم أعدائه الألداء الذئب والوشق والنمر.

والنيص حـيوان ليلي، يعـيش في البيئات الصخرية في الوديان والجبال وفي المناطق الـزراعية، ويتخذ من الشـقوق والجحور والحفر تحت الأحجار الكبيرة مأوى له، ويتغذى بالفواكـه والخضار، وقد يـهاجم المحاصـيل الزراعيـة مثل البطاطس والجزر والذرة وغيـرها، كما يتـغذى بالجذور والـبصيلات، وبـقايا الحيوانات الميـتة والعظام. ويعرف عنـه أيضاً أنه يتغذى أكثر ما يتغذى بالنباتات البرية.

تستمر فترة الحمل لمدة سبعة أشهر، تضع الأنثى بعدها من ٢ إلى ٤ صغار، والمعدل صغيران. تولد الصغار مفتوحة الأعين، عـلى جسـمها أشواك لـينة،

وتضعها الأم في جحور مغطاة بالنباتات. وتبدأ الصغار في الاعتماد على نفسها عند الشهر الخامس، وتتزاوج بعد السنة الثانية.

ويعرف أهل البادية عن النيص حُبَّه أكل الجمَّار، وهو قلب النخلة، ويأكل غالباً جمَّارة صغار النخل، ولا يعرف عنه أنه يتسلق النخل العالي. وله في ذلك قدرة عجيبة إذ يقضم الجريد حول قلب النخلة في سرعة فائقة بأسنانه، ثم يستخرج الجمَّارة أو قلب النخلة في وقت يسير لا يتجاوز الدقائق وقد يستغرق ذلك العمل ساعتين أو أكثر لو أراد إنسان أن يقوم به، وبعد أن يأكل النيص الجمارة تبقى النخلة حية، لكنها لا تثمر.

عائلة القوارض الوثابة

تستوطن أفراد هذه العائلة شمال أفريقيا ووسط آسيا وجنوب غربها. الرأس كبير فيه شوارب طويلة تبلغ أحياناً طول جسم الحيوان، والعيون كبيرة والآذان منتصبة، والجسم رشيق. الأطراف الأمامية قصيرة ذات أصابع خمس، والخلفية طويلة ذات أصابع ثلاث في الغالب، والفرو كثيف ناعم. يقطن الجزيرة العربية منها نوعان هما اليربوع واليربوع الفراتي.

الجربوع. وهو اسمه عند العامة وفصيحه اليربوع، وهو دابة كالجرذ منكب على صدره لقصر يديه، وطول رجليه. وله ذنب طويل وفي نهايته خصلة من الصوف السميك يختلف لونها عن لون جسمه وفيها بياض غالباً تُسمى زهرة، وهذا الذنب يشول به أي يرفعه عالياً إلى فوق عندما يركض وهو الذي يميزه عن الجرذ أو الفأر، ويألف الإنسان، وقد يأكل بعد ساعات من أسره الحبوب. ويقال لأولاد اليرابيع أدراص، ودروص (مفردها درْص) كما يقال لأولاد الفأر أدراص كذَلك، وتسميها البادية فروخاً.

واليربوع منتشر في جميع مناطق الجزيرة العربية، خاصة المناطق الرملية في وسطها وشمالها. وهو حيوان صغير، رشيق، متوسط طول جسمه ١٢سم وطول ذنبه ٢٠سم. أطرافه الأمامية قصيرة خماسية الأصابع، والخلفية أطول كثيراً من الأمامية وهي ذات أصابع ثلاثة، والخطم قصير مستدير، والعيون والآذان كبيرة ملعقية الشكل. ويشتهر اليربوع بقفزاته المميزة، وهي طريقة مثالية فعالة للحركة السريعة لمسافات طويلة فوق الرمال. وللأرجل الخلفية الطويلة القوية أثر فعال في المقدرة على القفز والارتفاع لمسافة كبيرة في الهواء، كذلك الذيل

يمتاز اليربوع بذنبه الطويل

الطويل الذي ينتهي بخصلة شعر بيضاء أداة فعالة في حفظ توازن جسمه أثناء الحركة، إذ يجعله قادراً على المناورة والحركة التموجية، التي تمكنه من تفادي كثير من المفترسات. كما أن وجود ثلاثة أصابع فقط في الأطراف الخلفية تنمو عليها خصلة شعرية طويلة يساعد اليربوع في المشي على الرمال والحركة أثناء القفز، أما الأطراف الأمامية القصيرة فتستخدم بفعالية في الحفر وتنظيف الوجه.

ومن الصفات الأخرى التي مكنت اليرابيع من البقاء والانتشار في المناطق الصحراوية القاسية الظروف تضخم القلة السمعية في الأذن الداخلية، مما يجعلها تحوي حجماً كبيراً من الهواء يمكّن اليربوع من سماع أخفت الأصوات، والإحساس بأدق الذبذبات خاصةً نداء اليرابيع الأخرى. وله قدرة على تحمل الحرارة المرتفعة التي تتصف بها المناطق الصحراوية الرملية التي يعيش فيها.

وهو حيوان ليلي، إذ تختفي اليرابيع خلال النهار في جحورها، وتنشط ليلاً للبحث عن الغذاء. وهي تتغذى بالحبوب والنباتات والأعشاب، لا تحتاج إلى الماء لكنها تشربه إذا توافر لها. وتعيش اليرابيع فرادى أو جماعات فقد يحتل عدة أفراد منها جحراً واحداً لفترة من الزمن، وهي تحفر جحورها في المناطق السهلية المرتفعة، وتستخدم أيديها القصيرة القوية في حفر الجحور، يساعدها في ذلك مخالبها الحادة التي تستخدمها لتفكيك التربة، ومن ثَمَّ تقوم بإزاحتها بأنفها وأرجلها.

ومن أهم أعداء اليرابيع الثعالب والذئاب والقطط البرية والبوم وبعض الجوارح الأخرى. كما يقتل أهل البادية أعداداً كبيرة منها حيث يصيدونها للأكل مع أنه صيد غير سمين حتى ضرب به المثل الشعبي فقالوا «جربوع ما يسوى

تعبه» ويضرب المثل للأمر التافه يبذل في سبيله كلفة وتعب، وينصح بشيِّه جيداً لأنه قد لا يخلو من بعض الحشرات الصغيرة أو الجراثيم التي تعيش داخل جهازه الهضمي أو على وبره من الخارج، وتأكل الأعراب اليرابيع في الخصب وفي الجدب، ولكنهم لا يصيدونه في أول الليل لأنه عندهم من مطايا الجن، وهو في ذلك مثل القنفذ والورل والنعام والظباء، كلها من مطايا الجن في زعمهم، وهو زعم باطل بلا شك.

واليربوع من أشد الحيوانات احتيالاً على أعدائه وذلك باتخاذه النافقاء، وهو النفق الذي يتخذه جحراً له، ويسمى أيضاً القاصعاء؛ قال أوسُ بن حجر:

وودَّ أبو ليلى طفيل بن مالكٍ
بمنعرج السُّوبان لو يتقصَّع

يتقصع: يختفي. ويرى الجاحظ أنها مأخوذة من تقصّع اليربوع وهو يدخل في قاصعائه أي جحره، وسمي جحره بذلك لأنه كثير التعرج عديد المخارج، وتسمى هذه المخارج في عامية أهل نجد نطَّاقات (مفردها نطَّاقة) أما عند أهل البادية فإن «القصعة» هي أن يقوم اليربوع بدفن بوابات جحره المتعددة ووضع بعض الأعشاب والأغصان الدقيقة عليها للتمويه، حيث يجمع اليربوع على أبواب جحره التراب، فإذا هاجمه عدو مفترس خرج من أحد الأبواب وترك الجحر. وفي ذلك يضرب به المثل في التخفي عن الأعداء؛ قال أعرابي لسهل بن هارون في تواريه عن غرمائه:

لتنزل أبا عمرو على حد قرية
مزيغ إلى سهل كثير السلائقِ
وخذ نفق اليربوع واسلك سبيله
ودع عنك عدوى ناطق إثر ناطقِ
وكن كأبي قطى على كل زائغ
له منزل في ضيق العرض شاهق

وكذا قالوا في المثل الشعبي «جربوع في خبار» والخبار هي الأرض الرخوة فيها جحور كثيرة يضل فيها الباحث عن الجربوع.

تتكاثر اليرابيع خلال فصلَي الربيع والخريف. وتستمر فترة الحمل لمدة ٢٥ يوماً تقريباً، وتضع الأنثى ٣ صغار أو ٤ في كل مرة، وتولد الصغار عُمْياً عارية من الشعر، وتستطيع الأنثى أن تنجب أكثر من مرة خلال العام الواحد، والمعروف أنها تعمَّر نحو ست سنوات في الأسر.

ويستوطن شمال الجزيرة العربية نوع آخر من اليرابيع يسمى اليربوع الفراتي، وهو كثير الشبه باليربوع، عدا أن أطرافه

الخلفية ذات خمسة أصابع، وآذانه متطاولة ذات أطراف مدببة.

عائلة القنافذ

تستوطن أفراد هذه العائلة أوروبا وآسيا وأفريقيا، وهي أرقى أنواع آكلات الحشرات تركيباً. أضراسها عريضة كاملة النمو، ويكسو الشوك أجسام بعض الأنواع، ويكسو الشعر أنواعاً أخرى، وحول الجسم تحت الجلد عضلة طولية تمكِّن الحيوان من أن يكور جسمه فيصبح في حماية درعه الشوكي. تستوطن ثلاثة أنواع من القنافذ الجزيرة العربية، أوسعها انتشاراً القنفذ الأثيوبي، والنوعان الآخران هما القنفذ الأسود والقنفذ الطويل الأذن.

القنفذ. هو القنفذ والأنثى قنفذة، وتجمع على قنافذ، ويقال لها العساعس لكثرة ترددها بالليل ويسمى أيضاً الدعلج، وهو حيوان مميز بشوكه الذي يغطي الأجزاء العلوية من جسمه، ولذا كنيته أبو الشوك وأبو سفيان، والأنثى أم وعول. ومن أسمائه الأخرى أنقد والأَزْيب على وزن أفْعَل، وهي ريح الجنوب أو الماء الكثير أو السرعة والنشاط. وقد يسمى دلول، دلدل، أو شيظم خطأً، لأن الدلول أو الشيظم أو الشيهة هو النيص وليس القنفذ.

وأكثر ما تتغذى به القنافذ الحشرات، ولكنها تتغذى أيضاً بمواد أخرى. وقد يكون ذلك ما أعانها على العيش في

القنفذ

المناطق الصحراوية القليلة الغذاء. والقنفذ الأثيوبي واسع الانتشار في شبه الجزيرة العربية باستثناء منطقة الربع الخالي. وهو صغير الحجم يميل لون جسمه إلى البني الضارب إلى الرمادي المسود، ويمر خط أبيض عبر الوجه، على جانب الجسم، ويميل لون البوز إلى الأسود، وبطنه أبيض غالباً، وذنبه أسود، وأذنه كبيرة ذات قاعدة عريضة، وفي مقدمة رأسه منطقة عارية من الشعر والأشواك.

تعيش القنافذ الإثيوبية في المناطق الصحراوية والجبلية والوديان، حول المزارع وحظائر الماشية حيث تكثر الحشرات. وهي ليلية المعيشة، وتمضي النهار داخل الجحور أو تحت الشجيرات، وتخرج وقت الغروب للبحث عن الغذاء، وقد تنشط كذلك خلال فترة الصباح الباكر. ويعتقد أهل البادية أن القنفذ دابة مسالمة لا تؤذي الناس، تخرج ليلاً للبحث عن الغذاء، وتأكل ما تجد من الهوام، مثل الفئران والخنافس والحشرات والثعابين.

وتعتمد القنافذ على حاسة الشم في الحصول على غذائها من الحشرات، لأن حاسة البصر عندها ضعيفة. وأكثر ما تعتمد عليه في غذائها اللافقاريات واليرابيع وبيض الطيور، وهي مولعة بأكل الأفاعي. كما تأكل الثمار والحبوب والجيَف، وقد لا تحتاج إلى الماء، لأنها تكتفي بما في فرائسها من الماء، ولكنها تشرب إذا توافر لها الماء أو عندما تربى في الأسر. وقالوا: إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكسا فيقطع العناقيد ويرمي بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق، فإذا كان له فراخ تمرغ في الباقي ليشتبك في شوكه ويذهب به إلى أولاده، وهو لا يظهر إلا ليلاً، قال الشاعر:

قنافذ هداجون حول بيوتهم
بما كان إياهم عطية عوَّدا

ومن الأعراب من يستطيب لحم القنافذ، ويقول إنه طيب للأرواح، ولكن بعضهم لا يقتلها، لأنها تقتل الأفاعي والحيات وتخلصهم منها. والقنافذ وابن عرس إذا نهشتها أفعى أو حية فإنها تعالجها بأكل الصعتر البري، وهو نبات يقال إن من خواصه طرد الهوام. وتقول العرب إن من أشد أعداء القنافذ الثعالب، فإذا لقى الثعلب القنفذ قلبه على ظهره، وبال في بطنه، فيبقى القنفذ مستلقياً على ظهره، فيأكل الثعلب جميع أجزاء جسمه من جهة بطنه ويترك الجزء العلوي من الجلد المكسو بالأشواك.

وعند حلول الشتاء تدخل القنافذ في سبات شتوى، ويقل نشاطها

لانخفاض درجة الحرارة الخارجية، فتبحث عن جحر مناسب، فإن لم تجد تحفر بمخالبها جحراً وتنام فيه فترة الشتاء. وعندما يدفأ الجو خلال فصل الربيع تنشط وتخرج مرة أخرى للتغذية والتزاوج.

تعيش القنافذ معيشة فردية، وتلتقي في بداية فترة التزاوج خلال فصل الربيع، وتترك الذكور آثاراً على الأرض أثناء السير، تثير الإناث عند شمها. وتتراوح فترة الحمل بين ٣٠ و ٤٠ يوماً، تلد الإناث بعدها من ٢ إلى ٥ صغار، وتضع الأم الصغار في جحر تحفره بنفسها أو تستخدم لذلك جحر أحد الحيوانات، وتولد الصغار عُمْياً، وأشواكها لينة لا تلبث أن تقسو خلال فترة قصيرة. وتعتني الأم بالصغار لمدة شهر قبل خروجها من الجحر، فتبدأ القنافذ الصغيرة بعد خروجها البحث بنفسها عن الغذاء مستقلة عن أمها. وقد تتزاوج الأنثى بعد هذه الفترة مرة أخرى خلال العام نفسه، وتلد مجموعة أخرى من الصغار، وقد تُعمَّر القنافذ إلى ثماني سنوات أو عشر في الأسر. ومن المحتمل ألاّ تصل إلى هذا العمر في بيئتها الطبيعية بالرغم من الاعتقاد

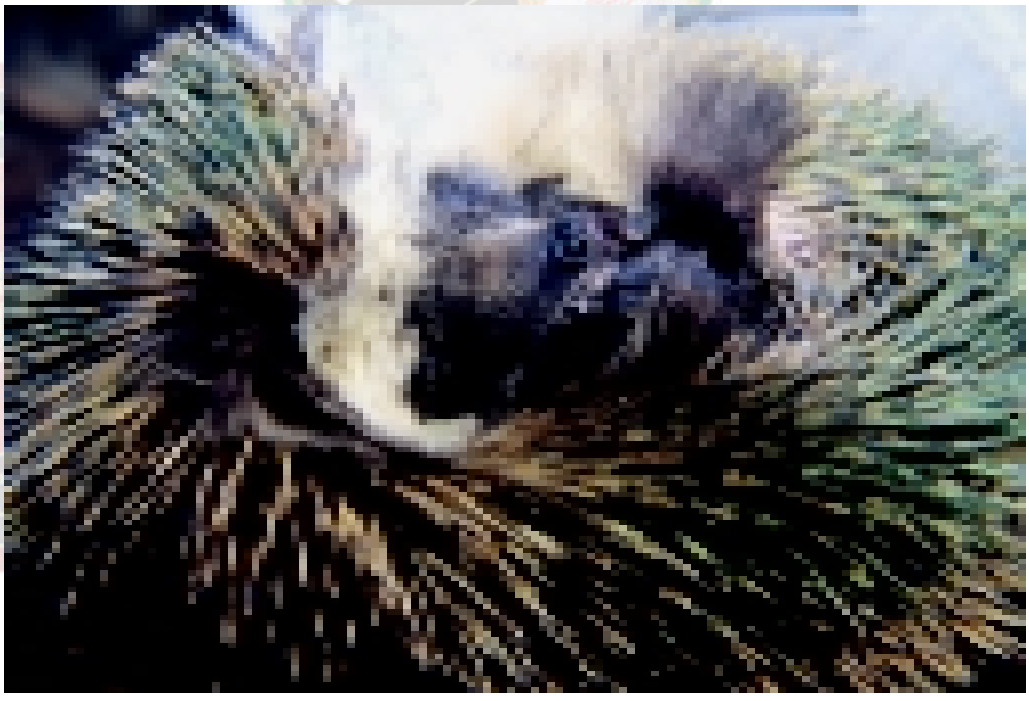

يتحول شعر القنفذ إلى أشواك لحمايته من الأعداء

بأنها حصينة ضد لدغ العقارب وعض الثعابين. وتعدّ الطيور الجارحة والثعالب من أهم أعداء القنفذ في بيئته الطبيعية على الرغم من العدد الكبير من الأشواك القاسية التي تغطي جسمه ويستخدمها بشكل فعال عندما يتعرض للخطر، فيتكور على هيئة كرة شوكية، ويحبس الهواء في ثنايا الفرو الناعم الذي يغطى الناحية البطنية، وبذلك يتمكن من التنفس والبقاء على هذه الحالة حتى زوال الخطر.

ويروي العرب أن القنفذ يتفنن في قتل الحيات، فعندما يجدها يمسك بذيلها ثم يتكورُ على نفسه، وعندما تحاول الحية أن تلدغه لا تجد غير كرة الشوك فتضرب الشوك حتى تموت، وعند ذلك يأكل القنفذ الحية أو الثعبان حتى يشبع، وضرب به المثل الشعبي «دعلج تحقره وهو ياكل القامه». والرخمة المصرية هي العدو اللدود للقنفذ، فعلى الرغم من مهانتها، على حد قولهم، فإنها عدو مسلط على القنفذ، فعندما يراها القنفذ يستلقي على ظهره، فتهبط عليه الرخمة وتأكله، ويضرب أهل البادية المثل في ذلك بقولهم «يذبح الدّاب ويستلقي لعليَّة»، وعليَّة هو اسم للرخمة عند البادية.

ويضرب المثل بالقنفذ في خبثه فيقال «قنفذ بُرقة». والبرقة هي الأرض فيها الحجارة والرمل والطين وهذا أخبث له، ومما يروى عن خبثه أنه اشترك مع النعامة في زراعة القمح كل بقدر طاقته، وبعد الحصاد والتذرية جمع الحب في كومة كبيرة، واختلفا في اقتسامه. ورأى القنفذ أن يكون الحب لمن سبق في الوصول إلى كومة الحب مما أفرح النعامة التي تعرف أنها أسرع من القنفذ. لكن القنفذ قد اتفق مع رفاقه القنافذ على أن يتخذ كل واحد منهم موضعاً على طول مسافة السباق. وعندما حلَّ المساء وبدأ السباق، أخذت النعامة تنادي القنفذ لترى إن كان يجاريها، فيرّد عليها أحد القنافذ المتربصة وتظن أنه هو صاحبها فتزيد في الركض. وتنادي: ياقنيفذ أين أنت؟ فيرد أحدها أمامها. وقبل الوصول إلى الكومة نادت وجاءها الرد قبل وصولها أنا هنا في العرمة! (كومة الحب). فأقرت النعامة بالهزيمة!. ويضرب به المثل في النميمة، وذلك لأنه لا يخرج إلا ليلاً. قال عبدة بن الطبيب في هذا المعنى:

إن الذين ترونهم خِلاَّنَكَم
يشفي صداع رؤوسهم أن تصرعوا
قوم إذا دمس الظلام عليهم
جذعوا قنافذ بالنميمة تمرعُ

ويقول الراجز في خروجه ليلاً:

قنفذ ليل دائم التجآب

وقيل فيه «أسرى من قنفذ» لأنه يسري في الليل كثيراً.

أما النوعان الآخران من القنافذ فهما القنفذ الأسود وهو أكبر حجماً من القنفذ الأثيوبي، ويستوطن المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة، واليمن، وسلطنة عمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة. والقنفذ الطويل الأذن يمتاز بطول أذنيه وشعر في مقدمة الرأس، ويعيش في المنطقة الشرقية من المملكة والكويت والبحرين.

عوائل الخفافيش

الخُفّاش بضم الخاء وتشديد الفاء، واحد الخفافيش التي تطير في الليل، وهو غريب الشكل والوصف. والخفش لغة هو صغر العين وضيق البصر. والأخفش هو صغير العين ضيق البصر، وقيل هو من يبصر في الغيم دون الصحو. وقيل هو عكس الأعشى، والأعشى هو من يبصر نهاراً لا ليلاً. والخفافيش حيوانات ثديية، تلد وترضع صغارها. أطرافها الأمامية تكيفت كأجنحة للطيران، ومع قدرتها الفائقة على الطيران وسرعة تقلبها في الهواء فإنها ليست من الطير. وقد ورد في كثير من كتب الأدب خطأً أنها من الطيور، أو أنها من طير الليل لأنها تطير ليلاً شأنها في ذلك شأن البوم، وتسمى كذلك الوطواط وهو الخفاش الكبير الحجم، والخشاف، والسحاة، وأبو خافة. تخرج الخفافيش وقت الغروب لصيد فرائسها من البعوض والعث (أبي دقيق) والحشرات الأخرى، وتصيد فريستها خلال طيرانها.

تتبع عوائل الخفافيش رتبة الخفاشيات، ومنها ٨٩٥ نوعاً في العالم. وتقسم بشكل عام إلى مجموعتين خفافيش كبيرة، تتغذى بالفواكه، وخفافيش صغيرة، تضم أنواعاً مختلفة التغذية. ومعظمها حشرية التغذية، ومنها ما يتغذى بالفئران والأسماك، وما يتغذى برحيق الأزهار. وهناك ثلاثة أنواع تتغذى بالدم، تعيش في أمريكا الوسطى وقارة أمريكا الجنوبية.

ومن الخفافيش الكبيرة عائلة الثعلب الطائر، إحدى عوائل خفافيش الفاكهة التي تستوطن المناطق الحارة من العالم القديم. وهي كبيرة الحجم ذات رأس كبير يشبه رأس الثعلب، أو الكلب الصغير، ومنه اكتسبت اسم العائلة. عيونها كبيرة وحاسة البصر قوية، وحاسة

الخفاش (الوطواط)

الشم جيدة مما يساعدها على تحديد أماكن طعامها، والذنب ضامر أو معدوم، وينتهي الإبهام بمخلب. وفي الجزيرة العربية منها ثلاثة أنواع تعيش على أغصان الأشجار أو في الكهوف قرب البساتين، وأوسعها انتشاراً هو الوطواط المصري.

ومن الثعلب الطائر ما يسمى الوطواط المصري وهو خفاش كبير الحجم. يتراوح طول جسمه بين ١٥٠ و١٦٠سم. الأقدام قوية والأصابع مزودة بمخالب، والإبهام طويل قوي ينتهي بمخلب واضح، والفرو ناعم حريري الملمس، بني فاتح. يتغذى بالفواكه الناضجة ومنها التمر، والسدر (النبق)، والتفاح، والمشمش، والجميز. وقد يسبب أضراراً اقتصادية إذ يعيش في مجموعات يتراوح عددها بين ٥٠ و٥٠٠ فرد.

يتزاوج الوطواط المصري طوال العام، وتلد الأنثى صغيراً أو اثنين بعد فترة حمل تصل إلى مئة يوم. وتولد الصغار عُمْياً، أجزاؤها العليا بلا شعر وأما الأجزاء السفلى فيكسوها الشعر. ينتشر هذا النوع في المنطقتين الغربية والجنوبية من المملكة، كما يعيش في اليمن وسلطنة عُمان والإمارات العربية المتحدة.

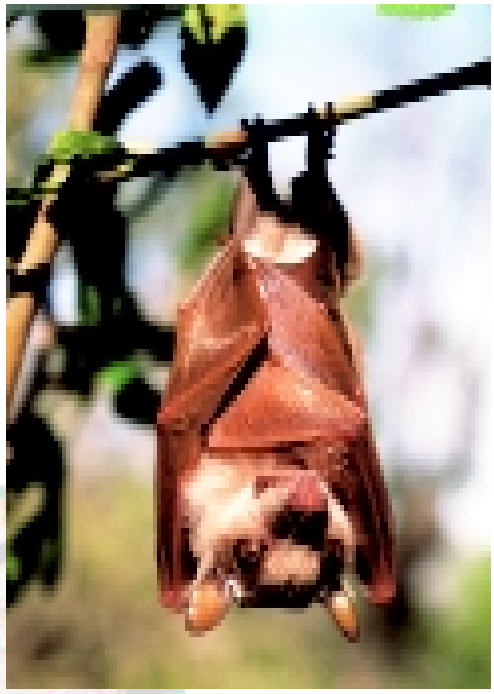

الخفاش يجعل رجليه إلى أعلى ورأسه إلى أسفل ويبقى متعلقاً

وتضم عوائل الخفافيش الصغيرة أنواعاً كثيرةً منها في الجزيرة العربية ما يقرب من ٣٦ نوعاً تنتمي إلى سبع عوائل، تتغذى بصورة عامة بالحشرات التي تصيدها ليلاً معتمدة على قدرتها في رسم صورة صوتية للفرائس التي تتغذى بها باستخدام الموجات فوق الصوتية التي تطلقها، وعند اصطدام هذه الموجات بأي جسم ترتد إلى الخفاش ليتعرّف عليه إن كان مصدر غذاء يتجه إليه أو عائقا يتجنبه. وتتزاوج هذه الخفافيش في فصل الخريف، وتلد الأنثى صغيراً واحداً في الغالب في فصل الربيع، بعد فترة حمل تصل إلى شهرين تقريباً. وتولد الصغار عُمْياً عارية من الشعر. وأثناء الوضع تتعلق الأنثى على غير عادتها بإبهامي اليدين ويتقوس الذيل إلى أعلى باتجاه البطن مكوناً شبه كيس لتلقي الصغير عند ولادته، ويتعلق الصغير عند الرضاعة بإحدى حلمتي ثدي أمه. وقد تحمله تحت جناحها، أو ربما قبضت عليه بفمها وذلك من حنوّها وإشفاقها عليه. وذكر الدميري أنه ليس في الحيوان ما يحمل ولده غير الخفاش والقرد. وهذا غير دقيق، فهناك حيوانات أخرى مثل حيوان الكنغر الذي يحمل صغيره أو صغيريه أحياناً داخل جراب جلدي في منطقة البطن.

تعتني الأم بالصغار وترضعها فترة شهر ونصف تقريباً، تطير بعدها الصغار معتمدة على نفسها في البحث عن غذائها من الحشرات، وتبلغ الصغار بعد ثمانية أسابيع إلى عشرة، وتكون قادرة على التزاوج عندما تبلغ ثلاثة أشهر أو أربعة، وتُعمَّر في الغالب حوالي عشر سنوات، وقد يُعمَّر بعضها إلى ما يقرب من عشرين سنة.

يعرف الخفاش عند العامة بطير الليل وسحية الليل والسحاة ويقال له أيضاً خرفاش، وهو تحريف لكلمة خفاش.

وعند بعضهم أنه من أخف الحيوانات وأكثرها فألاً، ويُظهر رأفة الخالق بالضعيف من الحيوان، وأنه يُسخِّر له السُبل التي تجعله أقدر من الحيوانات القوية في كسب عيشه. ويراه بعضهم من المفسدات حتى ليضرب به المثل الشعبي فيقال «سحاة خضرا». وتسكن طيور الليل الجبال والوديان والشعاب في الكهوف واللجوف، وهي الصدوع التي في الصخور، خصوصاً تلك التي لا يصل إليها المطر أو الرياح. والخفاش على نوعين: نوع عندما يدخل في الشقوق أو اللجوف يلصق جناحيه في الصخر، ويبقى جسمه معلقاً في الهواء ويتغذى بالثمار. ونوع آخر، أصغر حجماً من الأول ويسمى طير العشاء لأنه يطير وقت العشاء في أول الليل، وهذا النوع إذا دخل الصدع ينقلب، ويجعل رجليه إلى الأعلى ورأسه إلى الأسفل متعلقاً في سقف الصخر أو الصدع، ويبقى على هذه الحالة طوال النهار، ويخرج في طلب الرزق ليلاً. ويتغذى هذا النوع بالحشرات الليلية أثناء طيرانه. وهو يعتمد في طيرانه على إطلاق موجات صوتية عالية الذبذبة تصطدم بالعوائق التي تصادفه وتعود إليه، فيقدر المسافات التي تفصله عنها بدقة كبيرة كما يحدد أشكالها وأحجامها، وهو نفس المبدأ العلمي الذي تعمل عليه أجهزة الرادار الحديثة، ولذا كان الناس في نجد يعلقون بعض الأشجار الشوكية الجافة في أسقف المسجد حتى تحول دون طيرانه في فضاء المسجد تجنبا لازعاج المصلين. وطير العشاء هذا لا يقوى على مقابلة أشعة الشمس؛ قال الشاعر:

مثل النهار يزيد أبصار الورى
نوراً ويعمي أعين الخفاش

ولذلك لا يطير ولا يطلب رزقه إلا ليلاً. قال الدميري: لأنه لّما كان لا يبصر نهاراً التمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء، قبيل غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض، فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والخفاش يخرج طالباً للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق، وقالوا في المثل الشعبي «السحيّة ريفها بالليل». وله صوت يطلق عليه الصرصرة؛ وقد قال فيه الشاعر الشعبي حميدان الشويعر:

ياشويخٍ نِشا مع طِيورَ الْعْشا
ضاريٍ بالحساسات والقرقره
فارسٍ بالقهاوي وانا خابره
بالخلا تاخذه طيرة الحمّره
تاجرٍ فاجرٍ ما يزكّي الحلال
لو يجي صايم العشر ما فطّره

وهناك مثل شعبي يقول «طير العشا ما عنده إلا الصرصرة». ويضرب هذا المثل لمن لا يكون لديه إلا الضجيج الذي لا ثمرة فيه ولا نفع.

وله أيضاً:

أي طير إلى طار عشّى الفريق
وأي طير العشا ذاك أبا الصرصره
ماكره كل يوم بعرض الجدار
وكل ساس إلى جا الضحى نغثره

تعيش الخفافيش في مستعمرات قد تصل أعدادها إلى المئات، وتسكن في المنازل القديمة والكهوف والآبار، وبعضها متكيف للمعيشة في البيئات الصحراوية الجافة، وتتحمل درجات حرارة عالية قد تهلك الأنواع الأخرى، مثل خفاش ذنب الفأر. وللخفافيش القدرة على تخزين كميات من الدهون في منطقة الحوض، للاستفادة منها خلال فترة السبات الشتوي عندما تقل الحشرات. والخفاش موصوف بطول العمر مثل الحيات، وهو حيوان يحنو على صغاره وينقلها معه عند طيرانه للبحث عن غذائه؛ يقول كشاجم يخاطب ولده، ويطلب برَّه:

اتخذ فيّ خلة للكراكي
اتخذ فيك خلَّةَ الوطواط
أنا إن لم تبرني في عناء
فبِبِرِّي ترجو جواز الصراط

والكركي طائر يَبَرُّ والديه إذا كبرا، كما أن الخفاش يبر أولاده بحملها معه حيثما طار.

ويقال فيما نقل الدميري والقزويني إن من خواصه أنه إذا جُعل رأسه في حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها لم ينم، وإذا ذبح الخفاش في بيت وأخذ قلبه وأُحرق فيه لم يدخله حيَّات ولا عقارب، وعنقه إذا عُلِّق على إنسان أمن من العقارب. وإذا علقت خفاشة في شجرة من قرية جاوز الجراد عنها. وعند بعض أهل نجد فإن من يبول عليه يصاب رأسه بالقيقي وهي قروح تصيب جلدة الرأس. وكل هذه مزاعم لا سند لها من الصحة.